

السكران تسلسل الفقر



وراء وجيه محمود

هكذا يتصدق الفقراء

الكتاب: هكذا يتصدق الفقراء

المؤلف: وجيه محمود

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 98/17541

الترقيم الدولي: 977/5822/32/7

جميع الحقوق محفوظة للناشر



المنيا - شاهين - عمارات مستشفى الصدر

ت 086/346713 - 012/3454568

دار القبس للطباعة

ت ٥٢٤٣٣١٤ - ٣٦٨٥٦٢٨ - ٣٦٤٠٨٣٥

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ
صَّدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾
(البقرة 263)

"كل معروف صدقة"

(رواه البخارى ومسلم)

إهداء

إلى كل فقير

راضٍ كريم ..

صابر عفيف ..

يستغنى عن الناس .. بالقناعة والإيمان

ويتصدق عليهم .. بالمعروف والإحسان

تقديم

يقول الله تعالى ﴿فَأَنَّا الْإِنْسَانَ إِذَا مَا آتَيْنَاهُ مَرْثَةً فَاتَّكَبَ عَلَيْهَا وَعَسَىٰ يَقُولُ
مَرَّبِّي أَكْثَرُ مِنْ هَٰذَا مَا آتَيْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنِ ﴿١﴾
الْمَالِ ابْتِلَاءً...﴾

في حالي وجوده وعدم وجوده.

وجوده ابتلاء لصاحبه.. هل يشكر؟!

وعدم وجوده ابتلاء لفاقده.. هل يصبر؟!

كما أن وجود المال ليس دليلاً على محبة الله وكرمه، وكذلك
عدم وجود المال ليس دليلاً على بغض الله وسخطه، فبقدر التقوى
والعمل يكون الفضل والحب والتكريم.

والإسلام يجعل صاحب المال - الغنى - مسؤولاً عن فاقده الفقير
يسأل عنه، ويتفقد أحواله، ويقدم له العون مادياً ومعنوياً، وإلا فلن يكون
أهلاً لنعمة المال ولا جديراً لحمل أمانته.

(1) سورة الفجر 15-17.

والغنى إذ يقدم عوناً للفقير فإنه لا يقدمه تفضلاً منه، وإنما هو حق الفقير الذي أوجبه الله في مال الغنى، يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِلنَّاسِ مِنَ الْغَنَىٰ﴾ (1). تطهيراً للغنى وماله من الشح والحرص، وتطهيراً للفقير من الحقد والحسد.

وعندما يخرج الغنى حق الفقير في ماله فإنه يتقرب إلى الله بقربه من أعظم القربات، وعبادة من أخلص العبادات، فأصدق دليل على شكر الغنى هو إنفاق المال فيما أمر الله أن ينفق فيه.

أما الفقير إذا ما كان صابراً على قدر الله فإنه كذلك يتقرب إلى الله بصبره الذي جعل الله أجره بغير حساب، يقول تعالى ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّيْئَةُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (2).

وحتى لا يشعر الفقير بنقص في أداء ما فرض الله عليه من العبادات المالية، والتي تحتاج في أدائها إلى معونة المال، وحتى لا يصيبه هم أو حزن على ثواب هذه العبادات التي لا يستطيع أداءها إلا أصحاب الأموال، وحتى يطمئن قلب الفقير إلى قدر الله، ولا ينظر للغنى بعين الحسد، وحتى لا يجره شوقه إلى ثواب الزكاة والصدقات والحج والعمرة وغيرها إلى تحصيل المال بطرق غير مشروعة، فإن الإسلام قد شرع للفقير من الأعمال والطاعات وصنائع المعروف ما يعوض ثواب العبادات المالية بل ويزيد ويضاعف دون مشقة أو عناء.

فإذا كان الغنى يتقرب إلى الله بصدقة المال، فإن الفقير يتقرب إلى الله بصدقة المعروف، والتي قد تكون أحياناً أفضل وأنفع من صدقة

(1) سورة المعارج 24 - 25.

(2) سورة الزمر آية 10.

المال كما قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ تُبْذَرُ أَدَىٰ﴾⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الصدقات البديلة عن صدقة المال تنهض دليلاً قاطعاً على أن الإسلام هو التشريع الملائم لكل البشر باختلاف أحوالهم وظروفهم وبيئاتهم لأنه التشريع الصادر عن خالقهم سبحانه وتعالى والعالم بهم ظاهراً وباطناً.

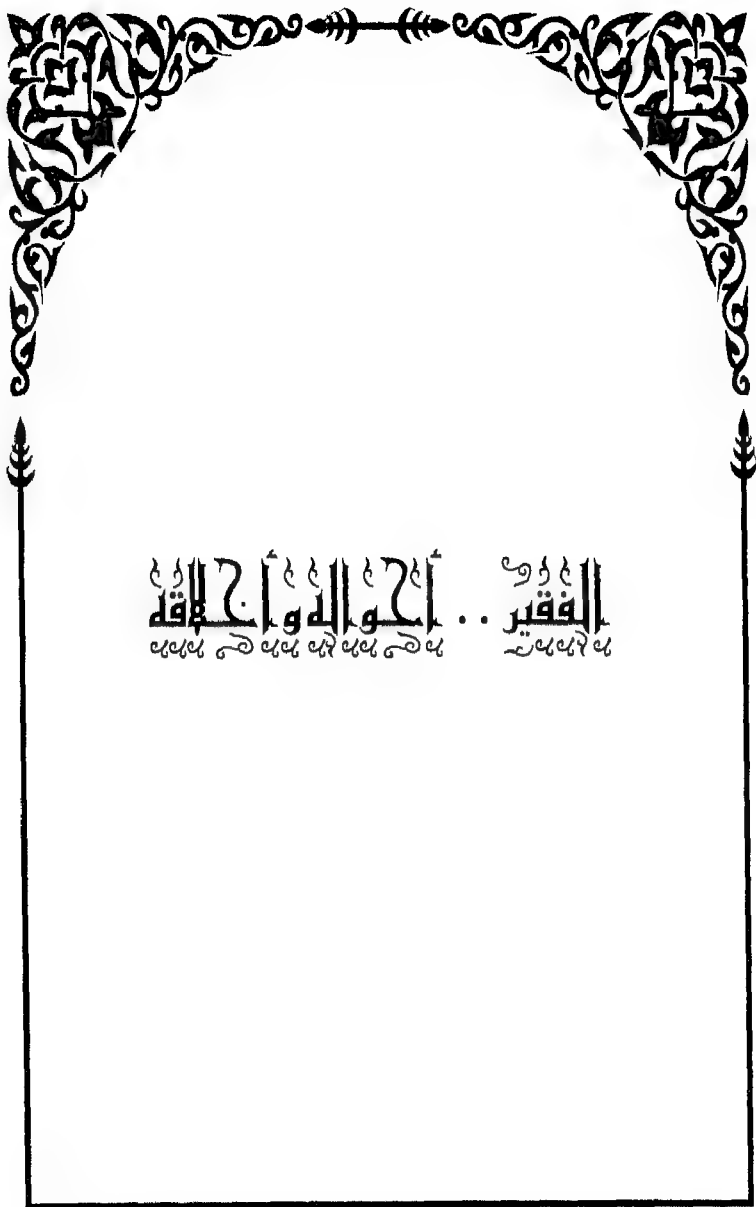
كما أنها ترد صراحة على ما يدعيه أعداء الإسلام من أن "الزكاة تجعل فرصة المسلم الغنى أفضل عند الله من الفقير لأن ماله يساعده على اكتساب ثواب أكبر"⁽²⁾ فهذه الصدقات تفوم حجة قوية تدفع هذا الزعم الباطل الذي لا يقصد منه إلا الطعن في الإسلام والنيل منه.

وعلى الصفحات التالية نعيش مع مجموعة غير قليلة من صدقات المعروف التي أرشدت إليها السنة النبوية الكريمة لتكون مغنماً للفقير يعوض به ما يعجز عنه من صدقات الأموال، ومهدت لها بحديث عن الفقير وما ينبغي أن يتحلى به من كريم الأخلاق التي تجعله أهلاً للعمل بسنة النبي الكريم ﷺ، والتي تمكنه من اغتنام تلك الفرص العظيمة التي هيأتها له هذه الشريعة الغراء، شريعة الحق والعدل والإخاء.

و. وجيه محمود

(1) سورة البقرة آية 263.

(2) القرآن والرسول ومقولات ظالمة د/ عبد الصبور مرزوق 75/2.



تعددت أقوال العلماء فى تعريف الفقير، ويمكن الجمع بينها بأن الفقير هو غير القادر على توفير حاجته، وحاجة من يعولهم من الطعام والشراب والملبس والسكن، وإن كان يملك نصيباً من المال. والفقير والمسكين حكمهما واحد، وإن اختلف العلماء فى تعريف كل منهما، والتفريق بينهما، فكلاهما محتاج لا يفى خرجه بدخله، حتى أن بعض السلف يرى أنه لا فرق بين الفقراء والمساكين، والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شئ واحد، وذلك لتوكيد أمرهم فى الصدقات، لأنهم هم الأصول فى الأصناف الثمانية، وأيضاً الفائدة فيه أن يصرف إليهم فى الصدقات سهمان لا كسائرهم ⁽¹⁾.

والفقير يتقلب فى أحوال متباينة، ودرجات متفاوتة تبعاً لحال إيمانه ودرجة تقواه، وما ينتابها من قوة وضعف، ويقين وشك، وعلم وجهل، ومن ثم فإن الفقر قد يكون طريقاً إلى طاعة الله وسبيلاً إلى محبته، كما يكون مدخلاً للشيطان ومزقاً للعصيان، حتى ليكاد يصل بصاحبه إلى مهالوى الكفر والضلال، ومن هنا نفهم سر استعاذة النبى ﷺ من الفقر فى قوله "اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة" ⁽²⁾.

(1) انظر تعريف العلماء للفقراء والمساكين والتفريق بينهما وفائدة هذا التفريق فى التفسير الكبير للفخر الرازى 62/8 وما بعدها، وكذلك فى تفسير القرطبى "الجامع لأحكام القرآن" 3094/4 وما بعدها.

(2) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 1554 - 92/2.

وقد ذكر الغزالي خمس أحوال يتنقل بينها الفقير، ترتبط في غالبها بإيمانه ومدى قربيه من ربه عز وجل، وطمأنينته إلى رزقه، وهذه الأحوال هي:

الأولى. الزهد:

أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وهرب منه احترازاً من شره.

الثانية. الرضا:

ألا يفرح بحصول المال ولا يكرهه كراهة يتأذى بها.

الثالثة. القناعة:

أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لا لرغبة فيه، بل إن أتاه صفوا عفوا أخذه، وأن افتقد إلى تعب في طلبه لم يشتغل به.

الرابعة. الحرص:

أن يكون تركه طلب المال لعجزه، وإلا فهو راغب فيه، ولو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه.

الخامسة. الاضطرار:

أن يكون ما فقده من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب.

ثم يضيف الغزالي إلى هذه الأحوال الخمس حالة أخرى، ويرى أنها أعلى هذه الأحوال جميعاً وهي الاستغناء، وهي أن يستوى عنده وجود المال وفقده فلا يفرق بين أن يكون المال في يده أو في يد غيره⁽¹⁾.

وواضح أن هذه الأحوال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بإيمان الفقير

(1) إحياء علوم الدين 294/4-295 بتصرف.

ويقينه بالله عز وجل، ومن هنا نفهم أن الفقر الحقيقي هو فقر الإيمان، والغنى الحقيقي هو غنى الإيمان، وبقدر إيمان المرء وحرصه على طاعة ربه تعالى تكون سعادته في الدنيا، يقول الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَمْسَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، ومن هنا نفهم رفض النبي ﷺ لغنى المال وإيثاره الفقر عليه حيث يقول: "عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً، قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً"⁽²⁾ وكذلك دعاؤه عليه السلام أن يجعل رزقه وآله كفافاً فى قوله "اللهم أجعل قوت آل محمد كفافاً"⁽³⁾.

ولكن كيف يتسنى للفقير أن يتحصل على السعادة التى لا يستطيع الغنى أن يحققها أو يصل إليها رغم وجود المال؟

إنما تتحقق هذه السعادة عندما يتصف الفقير بالصفات التى يفرضها عليه الإيمان ويتخلق بالأخلاق التى تملئها عليه تعاليم دينه الحنيف والتى من شأنها أن تجعل عيشه هائئاً سعيداً، وهذه الأخلاق وتلك الصفات نجعلها فى :

أولاً. التقوى:

التقوى جماع لأعمال الخير سواء كانت عقيدة أو عبادة أو سلوكاً، فالله تعالى يقول ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُلَوكُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفَى الرِّقَابَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ

(1) سورة النحل آية 97.

(2) رواه الترمذى - كتاب الزهد رقم 2347 - 575/4.

(3) مسلم - كتاب الزكاة - رقم 1054 - 730/2.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ⁽¹⁾.

والفقيه النقي مطمئن إلى قدر الله وقضائه، مصدق لقسم الله تعالى في قوله ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ⁽²⁾.

والفقيه النقي يعلم أن ما قدره الله عليه هو الخير له، وإن كان في ظاهره الشر والبلاء كما قال تعالى ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽³⁾.

والفقيه النقي يعلم أنه محتاج إلى الله في كل أحواله، في الفقر والغنى، في المرض والصحة في الضعف والقوة في السكون والحركة لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الْغَنَىٰ هُوَ الْغَنَىٰ الْحَمِيدُ﴾⁽⁴⁾.

كما أن الفقير النقي واثق في وعد الله للمؤمنين بالنجاة من الشدائد والخروج من المحن، والرزق الحلال في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾⁽⁵⁾.

وروى أن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي عندما أسر المشركون ابنه له، فذهب إلى النبي ﷺ يشتكى الفاقة وجزع الأم، فنصحه النبي ﷺ وإياها بالصبر والإكثار من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ففعلاً، فمكّن الله ولدهما من النجاة ومن غنائم الأعداء أيضاً⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة آية 177.

(2) سورة الذاريات آية 23.

(3) سورة النساء آية 19.

(4) سورة قاطر آية 15.

(5) سورة الطلاق آية 2، 3.

(6) انظر أسباب النزول للواحدي النيسابوري 245، 246.

ثانياً .الصبر:

الصبر حبس النفس على المكروه مع تحمله برضا وتسليم، وما تقرب العبد بقربة إلى ربه إلا وأجرها معلوم إلا الصبر، فإن الله يأجر أهله بغير حساب، يقول سبحانه ﴿لَا تُؤْخِرُ الصُّبْرُ عَنْ أَجْرِهِمْ يَوْمَ حِسَابِهِ﴾⁽¹⁾، وقد ذكر الرازي في تأويل هذه الآية ثلاثة وجوه:

الأول: أن يكون دائم الأجر لهم، وقوله تعالى "بغير حساب" معناه بغير نهاية، لأن كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناهٍ، فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب.

الثاني: أن يكون منافع كاملة، وعقل المطيع ما كان يصل إلى كنه ذلك الثواب، قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وكل ما يشاهدونه من أنواع الثواب وجدوه أزيد مما تصوره وتوقعوه، وما لا يتوقعه الإنسان فقد يقال: أنه ليس في حسابه، فقوله تعالى "بغير حساب" محمول على هذا المعنى.

الثالث: أن ثواب أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال⁽²⁾.

والفقير الصابر مأجور على صبره على ابتلاء الله له بالفقر، فكل ما يبتلى به المسلم في دنياه مكفر للسيئات والخطايا، يقول النبي ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها"⁽³⁾.
والفقير الصابر لا يزال مستضيئاً بصبره مهتدياً به إلى الخير

(1) سورة الزمر آية 10.

(2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للفخر الرازي 401/13.

(3) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان رقم 1664 — 148/3.

والصواب، كما يقول النبي ﷺ "الصبر ضياء"⁽¹⁾.

كما أن الفقير الصابر إذا استطاع أن يصل بصبره إلى درجة الغنى عن الناس، وعدم الحاجة إليهم وعدم السؤال إلا الله، والاستغناء عن الخلق جميعاً عن بعض ضروريات الحياة بحيث يرى نفسه كالغنى فهو - الفقير الصابر - في هذه الحال يكون أفضل من الغنى الشاكر⁽²⁾.

ثالثاً. الرضا:

الفقير الراضى يحمل قلباً نظيفاً طاهراً من الحقد والحسد والغل، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، يقنع بالقليل من الرزق، فالفقاعة غنى لا يزول، وكنز لا يفنى، وسعادة لا تنقضى، يقول النبي ﷺ: قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه"⁽³⁾.

ورضا الفقير يغنيه عن الناس جميعاً فيصير غنياً برضاه وقناعته، يقول النبي ﷺ: "وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"⁽⁴⁾.

ورضا الفقير يحفظ له ثواب الفقر وأجر الصبر عليه، كما يقربه من رضا الله تعالى، يقول النبي ﷺ: "إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط"⁽⁵⁾.

(1) مسلم - كتاب الطهارة - رقم 223 - 203/1.

(2) وقع خلاف كبير بين العلماء حول: أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر، والصواب في ذلك - والله أعلم - أن الأفضل منهما من يصل إلى درجة الآخر، أى أن الغنى الذى ينفق ماله فى سبيل الله ولا يبقى منه إلا بقدر ضرورته بحيث يعيش بضروريات الحياة فقط حتى ليكاد يشابه الفقير فى حياته فهو فى هذه الحال أفضل، وكذلك الفقير إذا وصل بالصبر والرضا لدرجة السعادة والاستغناء عن جميع الخلق بحيث يرى نفسه كالغنى فهو فى هذه الحال أفضل.

(3) مسلم - كتاب الزكاة رقم 1055 - 2:730.

(4) رواه الترمذى - كتاب الزهد رقم 551 - 501/4.

(5) رواه الترمذى - كتاب الزهد رقم 2396 - 601/4.

فالسخط مضيق للأجر، مغضب للرب، مقرب لعذاب الله، يقول النبي ﷺ: "إني لا أعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله في النار" (1).

رابعاً. التعفف:

الفقير المؤمن لا يظهر الشكوى والضجر، وإنما يخفى فقره ويستتره، فلا يظهر منه إلا التعفف والتجمل، حتى أن الجاهل بأمره وحاله يظنه غنياً لتعففه وترفعه عن المسألة يقول الله تعالى في وصف الفقراء الأعداء: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (2)، أى لإظهار التجمل وترك السؤال.

وقد استشف الإمام العلامة الرازى من هذه الآية معنى لطيفاً فيقول: وعندى أن المراد شئ آخر هو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعا في قلوب الخلق، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم، وذلك إدراكات روحانية لا علامات جسمانية، ألا ترى أن الأسد إذا مرر هابته سائر السباع بطباعها لا بالتجربة، لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت، ومن هذا الباب آثار الخشوع في الصلاة كما قال تعالى ﴿لِيَسْمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أُنْثَرِ السُّجُودِ﴾ وأيضاً ظهور آثار الفكر، روى أنهم يقومون الليل للتهجد ويحتطبون بالنهار للتعفف" (3).

(1) رواه مسلم - كتاب الإيمان رقم 150 سـ 132/1، وما تجدر الإشارة إليه هنا أن الحديث عن الرضا والقناعة لا يتعارض مع الحديث عن السعي والعمل من أجل الرزق، فكلاهما مأمور به، فالمسلم مأمور بالسعي والأخذ بالأسباب يقول تعالى "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" الملك 15 - ويقول تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله." الجمعة 10

(2) سورة البقرة آية 273.

(3) التفسير للفخر الرازى 639/3 بتصرف يسير.

كما أن الفقير المتعفف لا يكتفى بالترفع عن المسألة فحسب، وإنما إلى جانب ذلك فهو لا يظهر آثار الفقر والذلة والمسكنة، فإنه إن فعل ذلك فقد سأل بلسان حاله بل وألح في سؤاله لأن "تظهر إمارات الحاجة تدل على الحاجة، وسكونه يدل على أنه ليس عنده ما يدفع به تلك الحاجة، ومتى تصور الإنسان من غيره ذلك رق قلبه جداً، وصار حاملاً له على أن يدفع إليه شيئاً، فكان إظهار هذه الحالة هو السؤال على سبيل الإلحاف"⁽⁴⁾.

والفقير العف المترفع عن السؤال تظهر عليه عزة الإيمان وجلاله، ويكون قريباً من قلوب الناس، ورضائهم، كما يحظى بمحبة الله تعالى، كما يقول النبي ﷺ: "إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال"⁽⁵⁾.

خامساً. الكرم:

الفقير المؤمن رغم حاجته وفاقته جواد كريم، لا يحرم نفسه فضيلة البذل والعطاء وثوابها، فالله جواد يحب الجواد وكريم يحب الكريم. والكرم خلق محمود في الغنى بله الفقير وهو خلق يقرب العبد من ربه ويحبه إلى الناس، يقول النبي ﷺ: "السخي قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار"⁽⁶⁾.

والفقير المؤمن يؤثر غيره على نفسه مع حاجته الشديدة، وتلك أعظم درجات السخاء، وقد مدح الله تعالى صحابة نبيه الكريم فقال:

(4) التفسير الكبير 3/ 640.

(5) رواه ابن ماجه - كتاب الزهد رقم 4121 - 1380/2.

(6) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة، رقم 1961. - 342/4.

﴿يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽⁷⁾، وروى في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ نزل به ضيف، فلم يجد عند أهله شيئاً فدفع به إلى رجل من الأنصار، فذهب بالضيف إلى أهله، وليس عنده سوى قوت صبيته، فوضع بين يديه الطعام، وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ: "لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم"، ونزلت الآية⁽⁸⁾.

وقد بينت سنة النبي ﷺ أن أفضل الصدقة وأعظمها ثواباً صدقة الفقير المجهد المقل، حيث سئل عليه السلام: أى الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل⁽⁹⁾.

فصدقة الفقير على قلتها تفضل وتسبق صدقة الغنى على كثرتها، لأن الفقير يخرج من قليل يحتاجه، فصار أفضل من كثير الغنى الذى لا يحتاجه، يقول النبي ﷺ: "سبق درهم مائة ألف، قالوا: يا رسول الله وكيف؟ قال: رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها"⁽¹⁰⁾.

سادساً. الصدق:

الفقير المؤمن صادق مع الله، صادق مع الناس، صادق مع نفسه، يعلم ما له، وما عليه، ويعلم حدوده وإمكاناته، فلا يحمل نفسه فوق طاقتها، إذ ينبغي أن يكون باطنه وظاهره سواء، لأن مخالفة ظاهره لباطنه

(7) سورة الحشر آية 9.

(8) انظر تفسير القرطبي 6748/10، وأسباب النزول للواحدي النسيابورى ص238.

(9) رواه أبو داود — كتاب الزكاة، رقم 1677 — 132/2.

(10) رواه النسائي — كتاب الزكاة 95/5.

ستؤدى به إلى الوقوع فى شرك الرياء والتظاهر بما ليس فيه، وربما أدى به كذبه إلى التكبر على خلق الله، فيقع فى سخط الله وغضبه، يقول النبى ﷺ: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم"⁽¹⁾.

والفقير الصادق مطمئن ثابت علانيته كسريرته، والكاذب وجل مضطرب، يخشى أن يعرف الناس حقيقة أمره فينفضح سره، يقول النبى ﷺ "الصدق طمأنينة والكذب ريبة"⁽²⁾.



(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة، رقم 362/4 - 2000.

(2) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح رقم 1723 - 345/2.



عَلَّمَ كُلَّ مُسْلِمٍ مَسَاقِدَهُ

- **يقول** رسول الله ﷺ: " على كل مسلم صدقة" ⁽¹⁾.
- ويقول: "كل نفس كتبت عليها الصدقة" ⁽²⁾.
- ويقول: "كل سلاجى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس" ⁽³⁾.
- ... واضح من هذه الأحاديث - وغيرها كثير - أن النبى ﷺ يوجه أمراً ⁽⁴⁾ إلى كل مسلم أن يتصدق فى كل يوم تأكيداً على مكانة الصدقة من التشريع، وبياناً لمنزلتها وثبوت حكمها على جميع الأمة.
- ولكن المسلمين منهم الغنى الذى يستطيع ان يتصدق، ومنهم الفقير لا يقوى على الصدقة، فما معنى أمر النبى بالصدقة كل يوم، ذلك الأمر الذى لو أخذ بظاهره لكان شاقاً عسيراً حتى على الغنى المستطيع.

(1) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم 176/1 589.

(2) المسند - بإسناد صحيح رقم 8593.

(3) مسلم كتاب الزكاة رقم 699/2 1009.

(4) يأتى الأمر بصيغ مختلفة منها فعل الأمر كقوله تعالى "أقم الصلاة لدلوك الشمس" (الإسراء 78)

ومنها الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" (البقرة 185)

وقوله عليه السلام "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، ومنها الجملة الخبرية التى يقصد بها الأمر والطلب لا الإخبار كقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة" (البقرة 233) وكقوله عليه السلام فى الأحاديث المذكورة بصدر الباب إلى غير ذلك من الصيغ المعروفة عند علماء اللغة والأصول.

للإجابة على هذا السؤال نعرض للأمور التالية:

أولاً: الأمر للندب لا للوجوب:

فالأمر بالصدقة في الأحاديث المذكورة كما قال العلماء على سبيل الندب والترغيب لا على سبيل الإلزام والإيجاب، فصيغة الأمر ترد على معان كثيرة منها الوجوب كما في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾⁽¹⁾ ومنها الندب كما في قوله تعالى، ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾⁽²⁾ فقوله عليه السلام "على كل مسلم صدقة" أمر على سبيل الاستحباب باتفاق العلماء كقوله عليه السلام: "خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز"⁽³⁾، ففي هذه الخصال المذكورة ما هو مستحب اتفاقاً.

ثانياً: المقصود بالصدقة المذكورة:

أما المقصود بالصدقة المذكورة فهي صدقة المعروف كما فسرهما قوله عليه السلام في حديث آخر "كل معروف صدقة"⁽⁴⁾ تلك الصدقة التي يخرجها الناس جميعاً غنيهم وفقيرهم كبيرهم وصغيرهم قويهم وضعيفهم، فالمعروف كل فعل يعرف فيه رضا الله تعالى.

فصدقة المال ليست هي المقصودة في الأحاديث المذكورة لأن صدقة المال مقصورة على أهل اليسار فحسب، أما الصدقة المندوب إخراجها على كل نفس في كل يوم هي صدقة المعروف بأنواعه المختلفة ولذلك فهي صدقة أعم وأرحب من صدقة المال.

(1) سورة النور آية 56.

(2) سورة النور آية 33.

(3) مسلم كتاب السلام - رقم 2163 1074/4.

(4) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1005 697/2.

والمراد بكون المعروف صدقة أى أن لصاحبه ثواباً كثواب المتصدق بماله وأجرأ كأجره، ومرد الثواب فى الصدقتين صدقة المال وصدقة المعروف إلى نية المرء وإخلاصه العمل لله وحده.

ثالثاً. الحكمة من صدقة المعروف:

تتجلى الحكمة من هذه الصدقة التى أوجبها النبى على أعضاء الإنسان فى شكر الله تعالى على هذه النعم التى يتمتع بها الإنسان مع السعى والمعيشة، وخص ذكر السلامة (المفاصل) لما فى التصرف بها من دقائق الصناعات التى اختص بها الإنسان.

- وكذلك شرعت صدقة المعروف لعق هذه المفاصل من النار حيث جاء فى حديث النبى ﷺ أنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار (1).

- وفى صدقة المعروف تقدير لمشاعر الفقراء وإرضاء لرغبتهم فى الحصول على ثواب الصدقة، فقد روى أنهم شكوا إلى النبى ﷺ حرمانهم من أجر الصدقة التى استأثر بها الأغنياء فطمئنهم عليه السلام بقوله "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن بكل تسبيحه صدقة وكل تكبيره صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليله صدقة" (2).

- وقد بين القرآن الكريم أن صدقة المعروف قد تقوم بنفس الوظيفة التى تؤديها صدقة المال وهى تركيه النفوس وتأليف القلوب بل إن

(1) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1007/2 698.

(2) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1006/2 698.

إسداء المعروف إلى الفقير أفضل من إعطاء المال الذى يتبعه أذى أو تعبير، يقول تعالى ﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ تَبْغِهَا أذى﴾⁽¹⁾.

فصدقة المال التى يتبعها أذى لا ضرورة لها "وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح كلمة طيبة تضمد جراح القلوب وتغعمها بالرضا والبشاشة ومغفرة تغسل أحقاد النفوس وتحل محلها الإخاء والصدقة فالقول المعروف والمغفرة فى هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة من تهذيب النفوس وتأليف القلوب"⁽²⁾.

رابعاً. الفرق بين صدقة المال وصدقة المعروف:

صدقة المال سواء كانت فرضاً أو تطوعاً تكون على غير المحتاجين لهذه الصدقة أما صدقة المعروف فهى صدقة على صاحبها المتصدق بها، سواء عاد نفعها على الغير كالإرشاد الطريق ومساعدة الضعيف وإغاثة الملهوف وغيرها من صنائع المعروف، أو عاد نفعها على النفس كذكر الله والمحافظة على الفرائض الشرعية وغيرها من الطاعات التى يعود نفعها على صاحبها، كما جاء فى حديث النبى ﷺ عن صدقة المعروف "على كل نفس فى كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه قيل يا رسول من أين أتصدق وليس لنا أموال قال لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله واستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدى الأعشى وتسمع الأصم كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك"⁽³⁾، وفى حديث آخر يقول النبى ﷺ وأنت

(1) سورة البقرة آية 263.

(2) فى ظلال القرآن 380/1.

(3) المسند - بإسناد صحيح رقم 21376.

فيك صدقة، رفعك العظم عن الطريق صدقة وهدايتك الطريق صدقة...⁽¹⁾.

كما أن صدقة المعروف تغاير صدقة المال في كونها لا تبذل للفقراء فقط كصدقة المال وإنما تبذل لجميع الناس الغنى والفقير القوى والضعيف الصالح والطالح فالمعروف لا يخص أحداً دون أحد ولا قوماً دون قوم.

ولذلك فإن صدقة المعروف لا تلتحق بصدقة التطوع التي تعوض صدقة الفرض - الزكاة - يوم القيامة إن كان فيها خلل أو نقصير، فصدقة المعروف يراد بها شكر الله على عافيته وصدقة المال يراد بها شكر الله على ماله، فافترقتا.



(1) المسند - بإسناد صحيح رقم 21260.



أولاً . التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار:

روى مسلم عن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة ... " (1).

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي ذر أيضاً قال "على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، قلت يا رسول الله: من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ قال: لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله واستغفر الله ... " (2).

... وقد ورد فضل الذكر في مواطن كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، يقول تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (3) أى أفضل من كل شئ سواه من الطاعات، وهو المقصود من إقامة الصلاة ومن قراءة القرآن المأمور بها في صدر الآية (4).

(1) مسلم - كتاب الزكاة - رقم 1006/2 697.

(2) المسند - رقم 542/15 21376.

(3) سورة العنكبوت آية 45.

(4) في قوله تعالى "اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك واقم الصلاة" .. العنكبوت 45.

والعبد الذاكر لربه يتفضل الله عليه بذكره سبحانه له، وفي ذكر الله للعبد سعة الرحمة وشمول المغفرة وعظيم الأجر والثواب يقول تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"⁽¹⁾.

وقد صور النبي ﷺ الذاكر والغافل بالحي والميت فيقول "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت"⁽²⁾، وفي رواية "مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت"⁽³⁾.

ومما ورد في فضل الذكر من حديث النبي ﷺ - قوله - عليه السلام "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها لدرجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم؟ ذكر الله"⁽⁴⁾.

وقوله "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك"⁽⁵⁾.

وقوله: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر"⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة آية 152.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - رقم 446 127/1.

(3) مسلم - كتاب صلاة المسافرين - رقم 539/1 177.

(4) رواه أحمد بإسناد صحيح - رقم 579/18 27396.

(5) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 173/3 1724.

(6) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - 173/3 1725.

ثانياً. قراءة القرآن:

يقول رسول الله ﷺ "من قرأ حرف من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"⁽¹⁾.

... وقراءة القرآن من أفضل ما يذكر به الله تعالى، فالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً للمؤمن القارئ وغير القارئ فقال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو"⁽²⁾.
كما صور المهاجر للقرآن الذي لا يعي منه شيئاً ولا يعمر قلبه بنوره بالبيت الخرب فيقول: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"⁽³⁾.

وقراءة القرآن بتدبر وتفقه وعمل بما فيه ترفع شأن صاحبها وترقيه في الدنيا والآخرة، كما روى مسلم أن نافع بن الحارث لقى عمر، وكان يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ قال: ابن

(1) الترمذي كتاب الفضائل 175/5 - رقم 291.

(2) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان - رقم 460 - 131/1، والأترجة واحدة الأترج وهو تمر يجمع بين جمال الطعم والرائحة واللون تشبه البطيخ، وجاء في فتح الباري: "الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالنفاحة، لأنه يتداول بقشرها، ويستخرج من حبها دهن لها منافع، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلافه حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن" 684/8.

(3) الترمذي كتاب فضائل القرآن - رقم 2913 177/5.

أبزى، قال - أى عمر -: ومن ابن أبزى. قال: مولى من موالينا، قال: اوستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين⁽¹⁾.

وبالنسبة لرقى الآخرة فى درج الجنة يقول النبى ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"⁽²⁾.

ثالثاً. الصلاة على النبى:

يقول رسول الله ﷺ: "صلوا على فإنها زكاة لكم"⁽³⁾ وقد ورد فضل الصلاة على النبى ﷺ فى القرآن والسنة، وحسبنا أن نذكر أن الله أمرنا بالصلاة والسلام على النبى الكريم بعد أن بدأ فى هذا الأمر بذاته تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽⁴⁾، والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره⁽⁵⁾.

وذكر النبى الكريم أن أولى الناس به يوم القيامة أكثرهم صلاة عليه حيث يقول: "أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة"⁽⁶⁾.

كما جعل التارك للصلاة عليه بخيلاً شحيحاً فيقول: "البخيل من

(1) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه - رقم 815 559/1.

(2) الترمذى كتاب فضائل القرآن - رقم 2914 177/5.

(3) رواه الإمام أحمد - رقم 8755 415/8.

(4) سورة الأحزاب آية 56.

(5) تفسير القرطبى 5500/8.

(6) رواه الترمذى - أبواب الصلاة - رقم 484 354/2.

ذكرت عنده فلم يصل على⁽¹⁾.

والصلاة على النبي جائزة في كل وقت، بوضوء وبغير وضوء،
والوضوء أفضل، ويندب الإكثار منها في يوم الجمعة لقوله عليه السلام:
"إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فاكثروا على من الصلاة فيه فإن
صلاتكم معروضة علي⁽²⁾".

وأصح الصيغ في الصلاة على النبي الصيغة الإبراهيمية، التي
علمها النبي أصحابه عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه فقال: "قولوا اللهم
صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم أنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أنك حميد مجيد⁽³⁾".



(1) رواه الترمذي كتاب الدعوات رقم 551/5 3564.

(2) رواه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة - 345/1 1085.

(3) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 76/1 227.



يقول رسول الله ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فله بكل صلاة صدقة ..."⁽¹⁾.

... الصلاة صدقة من العبد على نفسه، يتقرب بها إلى ربه، ويشكره بها على عظيم نعمه وجزيل عطائه.

ومكانة الصلاة فى الإسلام تظهر فى كيفية فرضيتها، حيث فرضت فى السماء فى أعظم رحلة للنبي الكريم ﷺ رحلة الإسراء والمعراج، وبلا واسطة بين الله ورسوله خلاف غيرها من الفرائض. وتظهر مكانة الصلاة أيضاً فى كونها الفاصل بين الإيمان والكفر، كما قال النبي ﷺ: "بين الكفر والإيمان ترك الصلاة"⁽²⁾، الأمر الذى جعل العلماء يحكمون على تاركها بالكفر إن كان جاحداً، وبالفسوق إن كان متكاسلاً.

ويظهر فضل الصلاة كذلك فى كونها أول أسباب النجاح كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ⁽³⁾، وكونها كذلك آخر وصية لرسول الله ﷺ حيث قال وهو يغرغر بنفسه: "الصلاة وما ملكت أيمانكم"⁽⁴⁾.

(1) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 1286/5.

(2) رواه الترمذى - كتاب الإيمان - رقم 3618/5.

(3) سورة المؤمنون 2-1.

(4) ابن ماجة كتاب الوصايا - رقم 2697/900.

كما نتعرف على مكانة الصلاة من الدين عند ما نجد أن الله تعالى يعبر عن الإيمان بالصلاة ويعبر عن الصلاة بالإيمان.

أما التعبير عن الإيمان بالصلاة في قوله تعالى فيما نزل في تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ﴾⁽¹⁾، أى صلاتكم نحو بيت المقدس، وجاء التعبير عن الإيمان بالصلاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾⁽²⁾. أى المؤمنين.

وتتعلق بالصلاة مجموعة من الأعمال التى تقوم مقام الصدقة وتعوض أجزءها، وتتمثل فيما يلى:

أ. المشى إلى الصلاة:

يقول رسول الله ﷺ: "وكل خطوة تمسيها إلى الصلاة صدقة"⁽³⁾.
... فالمشى إلى الصلاة فى بيوت الله والسعى إليها استجابة لنداء الله تعالى، واتباع لسنة النبي ﷺ: كما يقول ابن مسعود رضى الله عنه: "من سره أن يلقى الله غدا مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"⁽⁴⁾.

كما أن السعى إلى المساجد دليل على الإيمان كما يقول النبي ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله عز وجل:

(1) سورة البقرة آية 143.

(2) سورة المعارج 19 - 22.

(3) رواه مسلم - كتاب الزكاة - رقم 1009/2.

(4) مسلم - كتاب المساجد - رقم 453/1.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽¹⁾.

ولذلك فإن المشى إلى الصلاة في بيوت الله سبب في رفع الدرجات ومحو الخطايا والذنوب يقول النبي ﷺ: "ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد" وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"⁽²⁾.

ب. انتظار الصلاة صلاة:

يقول رسول الله ﷺ: "أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة في صلاة، ما لم يُحَدِّثْ، تدعو له الملائكة، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه". ويقول أيضاً: "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة"⁽³⁾.

... فالذى ينتظر الصلاة حريص على أدائها في أوقاتها وفي جماعاتها، يحمل قلباً معلقاً بالمساجد وبالصلاة ويذكر الله، ومن ثم فإن انتظار الصلاة قربة يؤجر عليها كأجر الصلاة وفي الحديثين المذكورين شرطان في انتظار الصلاة للحصول على أجر الصلاة:

الأول: الطهارة لقوله عليه السلام "ما لم يحدث" والحدث هنا لا يقتصر على الناقض الذي يفسد الوضوء فحسب، وإنما يشمل كل ما يفسد المجالس من معاص ومخالفات كالسب والشتم والغيبة والنميمة والبطش والأذى وغيرها من آفات اللسان واليد.

والشرط الثاني: أن يكون انتظاره في المسجد للصلاة فقط لا لغرض

(1) الترمذى - كتاب الإيمان - رقم 15/5 2617 - والآية من سورة التوبة آية 18.

(2) مسلم - كتاب الطهارة - رقم 219/1 251.

(3) رواه مسلم، كتاب المساجد رقم 459/1-649

آخر، لقوله عليه السلام "لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة".
فالذي ينتظر الصلاة على الحاليين المذكورين يستحق رضا الله
وثوابه، ودعاء الملائكة له بالرحمة والمغفرة.

ج. ختام الصلاة:

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول
الله ﷺ فقالوا: "ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال:
وما ذاك؟ فقالوا: يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون
ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم شيئاً
تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم
إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبحون
وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، فرجع فقراء
المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا
ففعّلوا مثله؟ فقال رسول ﷺ: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" (1).

... ختام الصلاة من تمام الصلاة ومن أسباب قبولها، ومن علامات
محبة العبد ربه، ورغبته فى الأئس به وبذكره تعالى والثناء عليه، وكذلك
فيه معالجة لما قد يحدث فى الصلاة من نقصير ظاهراً أو باطناً.

وإتماماً للفائدة سنشير هنا إلى بعض الروايات الصحيحة الواردة

فى ختام الصلاة إضافة إلى الحديث المذكور:

- عن ثوبان مولى النبى ﷺ: كان رسول ﷺ إذا انصرف من صلاته،
استغفر ثلاثاً، وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والإكرام"، وقيل للأوزاعى وهو أحد رواه الحديث كيف الاستغفار؟ قال:

(1) رواه مسلم - كتاب المساجد - رقم 595/1 417.

تقول استغفر الله، استغفر الله" (1).

— عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: "يا معاذ إنني لأحبك فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك، قال: أوصيك يا معاذ: لا تدع في دبر كل صلاة أن تقول: "اللهم أعنني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (2).

— وعن المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد" (3).

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر كل صلاة بقوله: "اللهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر" (4).

فختام الصلاة على النهي الذي وضعه رسول الله ﷺ من أعظم القربات إلى الله تعالى، وسبب إلى مغفرة الذنوب والخطايا، ولذلك ينبغي على المسلم ألا يقصر فيه بتركه أو الابتعاد فيه، فيقوت على نفسه الأجر العظيم، ويقول النبي الكريم: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون،

(1) رواه مسلم — كتاب المساجد — رقم 414/1 591.

(2) المسند رقم 22018 — 204/16، وأبو داود كتاب الصلاة — رقم 1522 — 87/2.

(3) متفق عليه — اللؤلؤ والمرجان — رقم 103/1 347، ومعنى لا ينفع ذا الجد منك الجد: أى لا ينفع ذا الغنى عندك غناه وإنما ينفعه الإيمان والعمل الصالح بطاعتك، والجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى والسلطان.

(4) رواه البخارى — كتاب الدعوات — رقم 6365 فتح 178/11.

وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر" (1).

هـ. الصدقة على المنفرد:

عن أبي سعيد أن رجلاً جاء وقد صلى النبي ﷺ فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه" (2).

... ومن الحديث يظهر حرص النبي الكريم على أمته، حيث لا يريد لذلك المصلي أن يفوته ثواب صلاة الجماعة، التي تفضل صلاة الفرد - بسبع وعشرين درجة (3) وفيه أيضاً يظهر حرص النبي الكريم على صلاة الجماعة، والتي بلغ حثه عليها أن يرفض الترخيص لصاحبه الأعمى عبد الله بن أم مكتوم بالصلاة في البيت عندما قال له: "يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، فقال رسول الله ﷺ تسمع حى على الصلاة، حى على الفلاح، فحيها" (4).

هـ. التبكير إلى الجمعة:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقره، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة

(1) رواه مسلم - كتاب المساجد - رقم 597 - 418/1، وزيد البحر هو ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه، والمعنى: إن كانت الخطايا والذنوب في كثرتها وعظمتها مثل زبد البحر.

(2) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح - رقم 22089 230/16.

(3) ورد ذلك في حديث صحيح متفق عليه، للؤلؤ والمرجان - رقم 381 112/1.

(4) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 149/5601، والهوام خشاش الأرض كالأنقى والمقرب/ وحيها أى تعال.

فكأنما قرب ببيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر⁽¹⁾.
وفى رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طووا الصحف واستمعوا الخطبة، فالمهجر إلى الصلاة كالمهedy بدنه، ثم الذى يليه كمهedy بقره، ثم الذى يليه كمهedy كبش حتى ذكر الدجاجة والبيضة.
وزاد سهل (ابن أبى سهل من رواة الحديث) فى حديثه: "فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيئ بحق إلى الصلاة"⁽²⁾.

وروى أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال: "من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها"⁽³⁾.

و. صلاة الضمى:

يقول رسول الله ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكلم تحميدة صدقة، وكل تهليلية صدقة، وكل تكبيرة

(1) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 140/1 493 - و "قرب بدنه" أى تصدق بها متقرباً إلى الله، والبدنه واحدة البدن وهى الإبل، و "خرج الإمام" أى صعد المنبر وجلس عليه استعداداً للخطبة.

(2) رواه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة - رقم 347/1 21093، والمهجر اسم فاعل من التهجير أى المبادر إلى الجمعة بعد الصبح، وقيل بل فى قرب الهاجرة فى نصف النهار، والمهedy "أى المتصدق".

(3) رواه الترمذى - فضل الغسل يوم الجمعة - رقم 368/2 496، والمسد رقم 16118 477/12 وغسل روى بالتشديد والتخفيف، وقيل أى جامع امرأته قبل الخروج للصلاة لأنه أغض للبصر من غسل امرأته وغسلها إذا جامعها، وقيل توضأ للصلاة فغسل جوارح الوضوء، وتقل لأنه أراد غسل بعد غسل، وقيل أراد غسل غيره واغتسل هو لأنه إذا جامع زوجته أحوجها إلى الغسل، وبكر "أتى الصلاة فى أول وقتها، وابتكر" أى أدرك أول الخطبة وأول كل شئ باكورته.

صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما فى الضحى⁽¹⁾.

وفى رواية أخرى: "فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، عليه ان يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة فى المسجد يدفنها، أو الشئ ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزى عنه"⁽²⁾.

... صلاة الضحى عبادة مستحبة يتقرب بها المؤمن إلى ربه عز وجل، تجعله ذاكرا لربه فى جل أوقات يومه لتشمله رعاية الله وحفظه، فيقترب من الطاعات ويبتعد عن المعاصى.

وهى عبادة عظيمة النفع عميمة الفضل، تفضل الكثير من أنواع الطاعات، ويكفى أنها تجزئ عن ثلاثمائة وستين صدقة على الإنسان أن يخرجها عن أعضائه.

يقول الشوكانى معلقا على الحديثين المذكورين: "والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويدلان أيضاً على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتلهيل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ودفن النخامة وتنحية ما يؤذى المارة عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم"⁽³⁾.

أما وقتها فيبدأ بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال

(1) مسلم — كتاب صلاة المسافرين — رقم 499/1 720.

(2) رواه أبو داود كتاب الأدب — رقم 363/4 5242.

(3) نيل الأوطار 60/3.

ولكن المستحب أن تؤخر إلى ارتفاع الشمس ويشد الحر، فعن زيد بن أرقم قال: خرج النبي ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال: صلاة الأوليين إذا رمضت الفصال من الضحى (1).

وأما ركعاتها فأقلها اثنتان كما تقدم في الحديث، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله "اثنتا عشرة ركعة" (2).

ز. الصلاة على الجنازة وتشيعها:

يقول رسول الله ﷺ: "من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين" (3).

وفى رواية أخرى "من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً فصلى عليها وأقام حتى تدفن رجع بقيراطين من الأجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ورجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط" (4).

... المقصود من صلاة الجنازة وتشيعها ثلاثة أمور:

الأول: قضاء حق المسلم لقول النبي ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" (5).

الثانى: الاعتبار والعظة وتذكر الآخرة التى إليها مصائر الناس جميعاً،

(1) رواه أحمد — رقم 16161/424، ورمضت الفصال أى احترقت، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة، والمراد أنها تجد حر الشمس ويكون ذلك عند ارتفاعها..

(2) انظر فقه السنة — الشيخ سيد سابق 1/194.

(3) متفق عليه — اللؤلؤ والمرجان — رقم 551/164.

(4) رواه أحمد بإسناد صحيح — رقم 1595.

(5) متفق عليه — اللؤلؤ والمرجان — رقم 1397/43.

ومن هنا ندرك الحكمة من أمر النبي ﷺ: "أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللذاتِ: يعني الموت"⁽¹⁾، وذلك حتى نتذكر معاندنا فننتقرب من طاعة الله، وحتى تستهين الدنيا في قلوبنا، ونحتقرها كما يحتقرها خالقها كما قال عليه السلام: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرة ماء"⁽²⁾.

وكذلك حتى نطمئن إلى الأقدار التي نراها في غير صالحنا، فيستهين كل ما يصيبنا من مكروه عندما نعلم أن ما نعيشه أيام وساعات، الأولى أن تقضى في طاعة الله ومرضاته.

الثالث: حصول الأجر المذكور، وهو على الرغم من عظمتة إلا أن كثيراً من الناس يغفلون عنه ويكتفون بتقديم التعزية لأهل الميت، مضيعين على أنفسهم ذلك الأجر العظيم، وقد ذكر أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصلّي على الجنازة ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبي هريرة - المتقدم ذكره بصدر الباب الرواية الأولى - أرسل إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن قول أبي هريرة - وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها في يده حتى رجع إليه الرسول فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصي الذي كان في يده الأرض ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة"⁽³⁾.

ج - لطافة المسجد:

عن عبد الله بن بريده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "في

(1) رواه الترمذی - كتاب الزهد - رقم 2308/4 553 - وابن حاجه كتاب الزهد - رقم 1422/2 4258.

(2) رواه الترمذی - كتاب الزهد - رقم 2320/4 560.

(3) رواه مسلم - كتاب الجنائز - رقم 653/2 945.

الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال: النخامة في المسجد تدفنها.....⁽¹⁾.

• • • في الحديث حث على نظافة المساجد، وتطهيرها من القاذورات والنجاسات التي قد تصيبها، حتى تليق بمن تتسبب إليه سبحانه، وبما وضعت له.

ومن وسائل تحقيق نظافة المساجد ما يلي:

1. تطهيرها من النجاسات والأفذار:

عن أنس بن مالك قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاءه أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه. مه فقال رسول الله ﷺ: لا ترموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هو لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، ثم أمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشبه عليه"⁽²⁾.

2. تنظيفها وتطيبها:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد"⁽³⁾.

(1) سبق تخريجه، وفي رواية الإمام أحمد (22894) بلفظ النخاعة، والنخامة والنخامة بمعنى وهو البلغم الذي يلفظه الإنسان من حلقه.

(2) رواه مسلم - كتاب الطهارة - رقم 273/1 285 مه مه: اسم فعل أمر بمعنى كف، ولا ترموه: أى لا تقطعوا عليه بوله من رزم البول إذا انقطع، وشبه عليه أى صبه عليه.

(3) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 123/1 461، والقذاة الوحدة من التبن والتراب وغير ذلك، جمعها قذى.

وعن عائشة أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور وأمر بها أن تتظف وتطيب⁽¹⁾.

3. دخول المساجد بوقار وسكينة يتناسبان مع قدسية المكان:

عن أبي قتادة قال: "بينما نحن نصلى مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"⁽²⁾.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، وما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأقصوا"⁽³⁾.

4. ميانة المساجد من الروائح الكريهة:

عن جابر أن النبي ﷺ قال: "من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"⁽⁴⁾.

5. إبعاد الصبية والمجانين عن المساجد:

لما قد يترتب على دخولهم من أذى يلحق بالمسجد والمصلين عن واثله بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم"⁽⁵⁾.

(1) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 122/1 455، وفي المسند - رقم 26264 210/18.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان - رقم 104/1 351.

(3) رواه أحمد - رقم 594/9 10837.

(4) رواه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - رقم 395/1 564.

(5) رواه ابن ماجة كتاب المساجد والجماعات - رقم 247/1 750.

6. عدم الجبيع والشراء في المساجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك"⁽¹⁾.
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "نهى رسول الله ﷺ عن البيع والشراء في المسجد"⁽²⁾.



(1) رواه الترمذی کتاب البیوع - رقم 1321/3 601.
(2) رواه أحمد بإسناد صحيح - رقم 435/6 6991، والترمذی - أبواب الصلاة - رقم 139/2 322.



يقول رسول الله ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فله بكل صلاة صدقة، وصيام صدقة" (1).

... الصوم كذلك صدقة من العبد على نفسه، يتقرب بها إلى الله، ليشكره على نعمه العظيمة التي لا تحصى، ومن أجلها نعمة العافية، فالصائم يخرج زكاة جسده بصومه، ليعبر به عن شكره لخالقه تعالى، يقول النبي الكريم ﷺ: "كل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم" (2)، فجسد الصائم يقل ويضعف وينتقص في سبيل الله فكأن ما قل منه أو نقص أخرجه الصائم زكاة لجسده.

والصوم عبادة لا يشوبها رياء ولا نفاق، لأنها سر بين العبد وربّه، وأمانة بين المخلوق وخالقه، ولا يطلع عليها إلا الله، ولا يعلم ثوابها ولا جزاءها إلا الله وحده، حيث اختص الله تعالى هذه العبادة من بين سائر العبادات لنفسه وأسندها إلى ذاته، يقول رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به" (3)، وفى رواية: يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لى وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" (4).

(1) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 1286 - 27/2.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الصيام - رقم 1745 - 555/1.

(3) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان رقم 707 - 17/2.

(4) رواه البخارى - كتاب الصوم رقم 1894 - 25/فتح.

والغاية من الصوم واضحة في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

فالتقوى مقصود الصيام وغايته، وهى كلمة جامعة لكل خصال الخير والمعروف والإحسان، وهى التى تجعل الإنسان موصولاً بربه، متعلقاً بمنهجه، يرى النجاة فى اتباعه والهلاك فى تركه ونسيانه، فالصوم مقرب إلى التقوى معين عليها، مبعد عن المعاصى مضعف للشهوات، ولذلك فإن النبى ﷺ ينصح به الشباب قائلاً: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (2).

والصوم مدرسة تهذب النفوس وتربيها على الخير والصالح، وتسمو بها فوق شهواتها ونزواتها ليرتقى الصائم إلى عالم الملائكة ويتشبه بهم وبصفتهم، فلا يأكل ولا يشرب ولا يعصى، إنما أمره السمع والطاعة لأوامر الله ورسوله، عاملاً بنصيحة النبى الكريم فى قوله: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني أمرؤ صائم" (3).

كما أن الصوم يخلق جيلاً من الشباب المسلم يكون قادراً على تحمل المسؤوليات المنوطة بهم نحو أوطانهم وما يواجهها من مخاطر فى أوقات شدتها ورخائها، وذلك أن الصوم يغرس داخل المسلم خلقين عظيمين يعدان زاد كل أمة فى طريق مجدها وسلاحها فى تحقيق آمالها

(1) سورة البقرة آية 183.

(2) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 71/2.

(3) رواه البخارى - كتاب الصوم - رقم 194 141/4 فتح.

وهذان الخلقان هما:

الإرادة القوية التي تكبح جماع النفس وشهواتها.

والصبر الذى يبلغ الآمال ويحقق الطموحات.

ولن تستطيع أمة أن تصل إلى ما تريد من مجد ورقى وازدهار، إلا إذا كان أبنائها متمتعين بهذه الأخلاق العظيمة التى تأتى نتيجة لهذه الفريضة الجليلة : الصوم.

ولما كان الصوم يحمل كل هذه الغايات النبيلة والأهداف والحكم السامية فإن رسول الله ﷺ يفتح مجال الصوم لأمتة، ولا يغلق بابه على شهر رمضان فحسب، وإنما يدعو أمتة أن يستزيدوا ويتزودوا من هذا النبع الإيمانى والسلاح الروحى الذى يحفظ الإنسان من براثن الشيطان، فيدعو عليه السلام أمتة إلى التطوع بالصيام حتى لا يحرموا أنفسهم نفعاً عظيماً وخيراً عميماً يعود عليهم فى دنياهم وأخراهم.

ومن صيام التطوع الذى وجه إليه النبى الكريم:

1. صوم ستة أيام من شوال:

لقوله ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر"⁽¹⁾.

2. صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو التاسع من ذى الحجة:

لقوله ﷺ: "صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده"⁽²⁾.

(1) رواه مسلم كتاب الصيام - رقم 1164/2 822.

(2) رواه مسلم كتاب الصيام - رقم 196/2 818.

3. صوم يوم عاشوراء وهو العاشر من شهر المحرم:

لقوله ﷺ: "صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"⁽¹⁾.

4. صوم الأيام البيض من كل شهر وهى الثالث والرابع عشر والخامس عشر:

لقوله ﷺ: "إذا صمت من الشهر ثلاث فصم ثلاث عشر وأربع عشر وخمس عشر"⁽²⁾.

5. صوم يومى الاثنين والخميس:

لقوله ﷺ: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم"⁽³⁾.

حج وعمره الفقير

يقول رسول الله ﷺ: "من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين"⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً: "من صلى الصبح فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له أجر حجة وعمره، قال

(1) رواه مسلم كتاب الصيام - رقم 818/2 196.

(2) رواه الترمذى كتاب الصوم - رقم 124/3 761.

(3) رواه الترمذى كتاب الصوم - رقم 113/3 747.

(4) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 150/1 - 558.

رسول الله ﷺ: تامة، تامة، تامة" (1).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: "إني أشتي الجهاد ولا أقدر عليه، وقال: هل بقي من والديك أحد؟ قال أمي، قال: قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد" (2).
ويقول ﷺ: "عمرة في رمضان تعدل حجة" (3).

... الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، يقول النبي ﷺ:
"بنى الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً" (4).

وقد فرضه الله تعالى مرة في العمر، يقول النبي راداً على من سأله عن تعدد الحج: "بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع" (5).

ورغم أن هذه الفريضة العظيمة تجب مرة واحدة في حياة المسلم، إلا أنها لم تفرض على عموم المسلمين، وإنما على من يستطيع نفقاتها، ويقدر على أدائها يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (6).

فالفقير الذي لا يجد نفقة حجه قد سقطت عنه هذه الفريضة، ولكن ثوابها لم يسقط عنه، فقد هيأ النبي ﷺ للفقير - وغيره - أعمالاً يقوم بها دون كثير مشقة تعوضه ثواب الحج والعمرة المتقبلين بتمامهما معاً.

(1) رواه الترمذی - أبواب الصلاة - رقم 586 - 481/2.

(2) رواه أبو يعلى والطبرانی في الصغير والأوسط.

(3) رواه ابن ماجه - كتاب المناسك - رقم 2991/2 - 966.

(4) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 61/1.

(5) رواه أبو دود - كتاب المناسك - رقم 586 - 481/2.

(6) سورة آل عمران آية 97.

ومن هذه الأعمال التي تمنح الفقير ثواب الحج والعمرة دون أن تكبده مشاق الحج، حضوره الجماعات والجمعات، وكذلك مكوثه في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ويصلى الضحى وكذلك بر الوالدين، والذي جعله الله تعالى من أعظم القربات إليه وإلى رحمته ورضوانه.

فكل هذه الأعمال يثاب فاعلها بثواب الحج والعمرة المقبولين، غير أنها لا تسقط فريضة الحج على المستطيع، فالحج ركن من أركان الإسلام، يأثم القادر عليه بتركه، ويكون إسلامه ناقصاً غير مكتمل. وإذا استطاع الفقير أن يقوم بأداء مناسك العمرة دون فريضة الحج، فإن النبي الكريم يوجه إليه نصيحة غالية بأن يجعل عمرته في رمضان لأن العمرة في رمضان تعدل حجة في الأجر والثواب، وفي بعض الروايات أنها تعدل حجة مع النبي ﷺ.

صدقة الكلمة الطيبة

يقول رسول الله ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"⁽¹⁾.

... الكلمة الطيبة صدقة لأنها تدخل السعادة والسرور في قلب الإنسان الذي يتلقاها مثلما تفعل صدقة المال بأخذها، فالأثر الناجم عنهما واحد، وهو السعادة التي تغمر قلب المتلقى لهما.

بل ربما كانت الكلمة الطيبة أعمق أثراً في نفس المتلقى من صدقة المال، وذلك أن الكلمة الطيبة لا تترك في نفس سامعها شعوراً

(1) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 177/1.

بالنقص أو الضعف، هذا الشعور الذي قد يسيطر على أخذ صدقة المال، وخصوصاً إذا كان المعطى لها غير مخلص فى إخراجها، ولا يرمى مشاعر الفقير، فلا يشغله إلا السمعة والرياء، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى﴾⁽¹⁾.

وما أبدع تصوير القرآن الكريم للكلمة الطيبة، عندما صورها بشجرة طيبة ممتدة الجذور عظيمة الثمار، دائمة النفع والعطاء بقول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۖ تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

تلك هى الكلمة الطيبة وذلك هو أثرها العظيم على الفرد والجماعة. فهى كلمة "أصلها ثابت" قوية راسخة لا يطيح بها الباطل ولو كان قوياً عاتياً "أفرعها فى السماء" فهى عظيمة النفع والخير لا يؤثر فى نفعها الباطل مهما كان ارتفاعه وعلوه "تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها" فهى دائمة النفع والخير والعطاء على صاحبها وسامعها فى الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن الكلمة الطيبة من أسباب النجاة من النار والوقاية منها، يقول النبى ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة"⁽³⁾.

ومن الكلام الطيب الذى ينبغى أن يحرص عليه المسلم لجليل نفعه عليه وعلى أفراد مجتمعه، وفى نفس الوقت يكون من صدقاته على نفسه:

1- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(1) سورة البقرة آية 263.

(2) سورة إبراهيم آية 24.

(3) رواه مسلم - كتاب الزكاة - رقم 1016/2 704.

2- الإصلاح بين الناس.

3- إقضاء السلام.

أ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول رسول الله ﷺ: "وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة"⁽¹⁾.

... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات التي كلف بها المسلم حفاظاً على المجتمع من الفساد والرذيلة، فالمسلم كما هو مسؤول عن إصلاح نفسه فهو كذلك مسؤول عن إصلاح مجتمعه الذي هو عضو من أعضائه ولبنة في بنيانه.

فالمجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً طاهراً نقياً سليماً من الآفات والأمراض التي تمزق أواصر المجتمع وتصدع بنيانه، ولن تتأتى سلامة هذا المجتمع إلا بنشر المعروف والعمل به والدعوة إليه، وكذلك الوقوف في وجه المنكر لحماية المجتمع من ويلات الشر ومهاوى الرذيلة، ليكون مجتمعاً سوياً فاضلاً، تسود فيه الفضيلة، ويرتفع فيه لواء الحق والخير والعدل.

فالوقوف في وجه الأشرار - مرتكبي المنكر - ضرورة تحتمها مصلحة المجتمع المسلم حتى لا يقع فريسة لشرذمة من الناس لا يتورعون من الفواحش والمنكرات، والسكوت عنهم والرضا عن صنيعهم مشاركة لهم في آثامهم وأوزارهم، كما أنه سبب لغضب الله وسخطه، وعدم إجابته دعاء الصالحين، يقول رسول الله ﷺ: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم

(1) رواه مسلم - كتاب الزكاة - رقم 1005/2.697.

لندعونه فلا يستجيب لكم⁽¹⁾.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجات بتفاوت طاقات الأشخاص ومدى قدراتهم على تغيير المنكر، وقد وضع النبي الكريم ﷺ هذه الدرجات بقوله: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"⁽²⁾.

وفى هذا الحديث بيان لمنهج الإسلام فى تغيير المنكر وإزالته، ويتمثل هذا المنهج فى الخطوات التالية:

الأولى: معرفة كل مسلم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل فرد من أفراد هذه الأمة.

الثانية: التأكد من وقوع المنكر، فلا يلتفت إلى مجرد الظن أو الشك أو السماع، فقوله "من رأى" أى من تأكد من وقوعه.

الثالثة: استعمال الوسيلة المناسبة لتغيير المنكر والتي تتناسب مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها تتناسب مع طبيعة المنكر ومرتكبه، وهذا يتطلب أن يكون القائم بهذه المهمة مؤهلاً لها بأدب وأخلاق، تهى له التوفيق بإذنه تعالى.

وما ينبغى أن يشار إليه أن درجات التغيير الثلاث المذكورة - اليد واللسان والقلب - جميعها من خصال الإيمان، وكل درجة لها دورها وأثرها الفعال فى تغيير المنكر، وإذا كان التغيير باليد - القوة - والتغيير باللسان - التوجيه والإرشاد - قد يؤديان إلى نتيجة سريعة فى إزالة المنكر، فإن التغيير بالقلب أيضاً له دوره فى تغيير المنكر عندما يجد مرتكبه أن

(1) رواه البيهقي فى السنن الكبرى 93/10، وهو فى الترغيب والترهيب 227/3 - رقم 13.

(2) مسلم كتاب الإيمان - رقم 69/1 49.

كل من حوله معرض عنه منكر لفعله مبغض لخلقه، فيرتدع عن إثمه وينتهى عن جرمه.

وحتى يحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثماره المرجوة، لابد وأن يتحلى القائم به بالآداب التالية:

1- العلم:

أى يعلم أن ما يأمر به ويدعو إليه معروف حث عليه الشرع، وأن ما ينهى عنه ويفر منه منكر يرفضه الشرع وينكره.

2- الرفق:

أى يكون رفيقاً حليماً فى أمره ونهيه، حتى لا يؤدي تغيير المنكر إلى مفسدة أشد منه يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽¹⁾.

3- الحكمة:

أى يختار الوقت المناسب والقول المناسب لمن يأمرهم وينهاهم ليستجيبوا لدعوته، لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾.

4- الورع:

فلا يخالف فعله قوله فى أمره ونهيه، فيأتمر بما يأمر وينتهى عما ينهى حتى يكون لدعوته أثر فى نفوس من يأمرهم وينهاهم وحتى لا يقع فى وعيد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾.

(1) سورة طه آية 44.

(2) سورة النحل آية 135.

(3) سورة الصف آية 2، 3.

5. الصبر:

فلا يتعجل ثمار عمله، بل يصبر ويحتسب، وبقدر صبره واحتماله يكون أجره يقول تعالى: ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁽¹⁾.

ب. الإصلاح بين الناس:

يقول رسول الله ﷺ: "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة"⁽²⁾.

... الإصلاح بين الناس واجب على المسلمين، حيث أمر الله به في أكثر من موضع في كتابه الكريم، يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾⁽³⁾. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

ويلحظ في الآيتين الكريمتين أن الإصلاح مرتبط بالتقوى، وفي ذلك أشار إلى أن الإصلاح بين الناس من آثار التقوى، وهو خلق لا يصدر إلا عن تقى يعرف حق الله وحق العباد عليه، كما يعلم أن أفضل صدقة وأنفع هدية يقدمها للمتخاصمين هي الإصلاح والتوفيق بينهما.

وجاء أمر الله بإصلاح ذات البين لأن الخصومة هي سبيل الشيطان إلى القلوب، فملاها حقداً وحسداً، لتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس، ليعيشوا في تناحر مستمر يبعدهم عن طاعة الله تعالى، وذلك هو مراد الشيطان، يقول النبي ﷺ: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون

(1) سورة لقمان آية 17.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان - رقم 177/1 590.

(3) سورة الأنفال آية 1.

(4) سورة الحجرات آية 10.

فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم⁽¹⁾ .
 ولذلك فإن عمر يوصى أبا موسى رضى الله عنهما بعدم فض
 المشاكل عن طريق القضاء وأن يجعل للصلح موضعاً فيقول: "رد الخصوم
 حتى يصطلحوا، فإن القضاء يورث بينهم الضغائن".
 ولما كانت الخصومة سبباً فى نشر العداوة والبغضاء بين
 المسلمين، الأمر الذى يؤدى إلى تفرقهم وتفككهم وإضعافهم فإن رسول
 الله ﷺ ينهى عنها ويحذر منها.
 فيقول: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان
 فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"⁽²⁾ .
 ويقول أيضاً: "تعرض الأعمال فى كل يوم خميس واثنين فيغفر
 الله فى ذلك اليوم لكل أمرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرء كانت بينه وبين
 أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا"⁽³⁾ .
 كما يجعل عليه السلام - الهجرة والخصومة سبباً فى دخول النار
 فيقول: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث
 فمات دخل النار"⁽⁴⁾ ، بل ويجعل عليه السلام - المهاجر لأخيه سنة كقاتله
 فيقول: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه"⁽⁵⁾ .
 ومن هنا تظهر قيمة الإصلاح بين الناس وفضله وأثره على الفرد
 والمجتمع لإزالة البغضاء والشحناء من قلوب المسلمين، ولذا فإن النبى

(1) رواه مسلم - كتاب صفات المنافقين - رقم 2812/4 2166، والتحريش الإفساد.

(2) رواه مسلم - كتاب البر والصلة - رقم 2560/4 1984.

(3) رواه مسلم - كتاب البر والصلة - رقم 2565/2 1987، واركوا أى أخرجوا.

(4) رواه أبو داود - كتاب الأدب - رقم 4914/4 281.

(5) رواه أبو داود - كتاب الأدب - رقم 4915/4 281.

عليه السلام يجعل الإصلاح يفوق درجة الصلاة والصيام والصدقة. فيقول: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا. بلى قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة"⁽¹⁾.

كما يرخّص عليه السلام للمصلح بالكذب إذا لم يجد سبيلاً للإصلاح إلا به، فيقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً"⁽²⁾.

وما ينبغي أن يشار إليه هنا أن الإصلاح بين المتخاصمين يجب أن يكون قائماً على العدل فلا يكون لصالح طرف على حساب طرف آخر، يقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾⁽³⁾، وكذلك في قول النبي ﷺ المذكور آنفاً "تعديل بين الاثنين" أي تصلح بينهما بالعدل، لأن الصلح لو تم بغين أحد الطرفين لبقيت القلوب على نفورها وشحنائها لعدم تحقيق العدالة بينهما.

وقد أورد البخاري في صحيحة باباً بعنوان: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، وروى فيه عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أن إعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله، فقال الإعرابي، إن ابني كان عسيفاً"⁽⁴⁾، على هذا فزني بامرأته فقالوا لى: على ابنك الرجم، ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائه وتخريب عام، فقال النبي ﷺ: لأقضين بينكما بكتاب الله، أما الوليدة

(1) رواه أبو داود - كتاب الأدب - رقم 282/4/ 1919.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان - رقم 152/2 1674، وينمى أى يبلغ خيراً.

(3) سورة الحجرات آية 9.

(4) عسيفاً: أى أجيراً.

والغنم فرد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتعذيب عام، أما أنت يا أنيس — لرجل — فاغد على امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها أنيس فرجمها".

جـ. إفشاء السلام:

يقول رسول الله ﷺ: "على كل سلامى من ابن آدم صدقة حين يصبح" فثشق على المسلمين. فقال رسول الله ﷺ: "إن سلامك على عباد الله صدقة" وفي رواية "وتسليمك على الناس صدقة"⁽¹⁾.

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد عليه فجلس فقال: عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه فجلس فقال: ثلاثون"⁽²⁾.

... سلام المسلم على المسلم طريق إلى المحبة والوداد، وسبب لائتلاف القلوب وتوحيدها وسبيل إلى إدخال السرور فى قلوب المسلمين، فالباذل للسلام، والمكثر منه مؤمن محب لإخوانه لين الجانب لهم، متواضع معهم يحمل قلباً عامراً بالإيمان خالياً من الحقد والبغضاء.

يقول رسول الله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"⁽³⁾.

ولما كان السلام طريقاً إلى المحبة والسعادة؛ فإن النبى الكريم

(1) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح — رقم 8336، ورقم 21440.

(2) رواه الترمذى — كتاب الاستئذان — رقم 52/5 2688.

(3) رواه مسلم — كتاب الإيمان 74/1 — رقم 54.

ينصحن باللقائه على من نعرف ومن لا نعرف من المسلمين، لما فى ذلك من إظهار للتعاون واجتماع الكلمة، وفى الوقت نفسه إنذار وإخزاء للكافرين والمنافقين. سأل رجل رسول الله ﷺ: "أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"⁽¹⁾.

ومن هنا كان حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على نشر السلام وإفشائه فيما بينهم، فيروى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أنه إذا غدا إلى السوق لم يمر على سقاط⁽²⁾ ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه، وقيل له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تنفق على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس فى مجالس السوق؟ فقال: إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقيناه⁽³⁾.

ونسأل كيف يحقق السلام غايته فى حصول المحبة بين

المسلمين؟!

يحقق السلام غايته بما يلى:

أولاً - الإكثار منه وتكراره:

يقول النبى ﷺ: "إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه"⁽⁴⁾.

ومن هنا نعلم أن القول الشائع لدى الناس: "كثرة السلام تقل المعرفة" بعيد عن سنة النبى، الكريم فكثرة السلام لا تقل المعرفة بل تزيدها وتقويها.

(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 20/1 - رقم 24.

(2) أى يبيع السقط وهى المتاع الردئ.

(3) رواه مالك فى الموطأ - رقم 912 ص 323.

(4) رواه أبو داود - كتاب الأدب 4:352 - رقم 5200.

ثانياً: الابتداء به والابتدار إليه:

يقول النبي ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"⁽¹⁾. وقيل له: الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟ قال عليه السلام: "أولاهما بالله تعالى"⁽²⁾. وقد بينت سنة النبي الكريم أن الصغير يسلم على الكبير والقليل على الكثير والراكب على الماشى والماشى على القاعد⁽³⁾.

ثالثاً - رفع الصوت والاهتمام به:

فينبغي رفع الصوت بالسلام في حالى الإلقاء والرد، وذلك تقديرأ للملقى والمتلقى، فإذا لم يسمع السلام لم يجب عليه الرد، وكذلك إذا تأخر في الرد فكانه لم يرد.

رابعاً - السلام على أهل البيت:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ بِبَرَكَاتٍ طَيِّبَةٍ﴾⁽⁴⁾. ويقول ﷺ: "إذا دخلت على أهلِكَ فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"⁽⁵⁾.

خامساً - السلام على الصبية:

تواضعاً لهم، وانشراحاً لصدورهم، وتدريباً لهم على أدب الشريعة. عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبية فسلم عليهم وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله⁽⁶⁾.

(1) رواه أبو داود - كتاب الأدب 352/4 - 5197.

(2) رواه الترمذى - كتاب الاستئذان 56/5 - رقم 2694.

(3) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 43/3 - 1396 والصغير على الكبير فى رواية البخارى - كتاب الاستئذان - 18، 11 - رقم 6234 - فتح.

(4) سورة النور آية 61.

(5) رواه الترمذى - كتاب الاستئذان 59/5 - رقم 2698.

(6) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان 1401 - 44/3.

سادساً - السلام بالصيغة الشرعية:

وهي الواردة في الحديث المذكور في صدر الباب وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فهي أفضل تحية للمسلمين، وهي أول ما تعلمه آدم عليه السلام. فروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: "خلق الله آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعاً ثم قال: أذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله"⁽¹⁾. فينبغي على المسلم أن يحرص عليها تأسيساً بسنة النبي ﷺ وحرصاً على الأجر والثواب.



(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 220/3 - رقم 1807.



يقول رسول الله ﷺ: "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم"⁽¹⁾.

ويقول ﷺ: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبيغض الفاحش البذي"⁽²⁾.

... الخلق ملكة داخل النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية، وهذه الأفعال إما أن تكون حسنة مقبولة مدحوة فتسمى بالأخلاق الحسنة، كالصبر والكرم والحياء والعدل والشجاعة وغيرها من الأخلاق الفاضلة وإما أن تكون مرفوضة مذمومة فتسمى بالأخلاق السيئة كالكذب والكبر والخيانة والبذاءة وغيرها من الأخلاق القبيحة.

والإسلام - ذلك الدين الخاتم والمقبول عند الله - يدعو إلى حسن الخلق ويرغب فيه، وينفر من سوء الخلق ويذمه وصاحبه، ومن أجل ما وصف به صاحب رسالته - النبي محمد ﷺ - أنه صاحب خلق كريم. يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾. وذلك لأنه عليه السلام كان متخلقاً بأخلاق القرآن متمسكاً بأدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن، كما تقول السيدة عائشة في وصف النبي الكريم: "إن خلق النبي ﷺ كان القرآن"⁽⁴⁾.

(1) رواه أبو داود - كتاب الأدب - 253/4 - رقم 4798.

(2) رواه الترمذي - كتاب البر والصلة - 362،4 - رقم 2002.

(3) سورة القلم - آية "4".

(4) رواه مسلم - كتاب الصلاة المسافرين - 512/1 - رقم 746.

ويرفع النبي الكريم درجة صاحب الخلق الحسن إلى درجة قائم الليل وصائم النهار وماله من عظيم الأجر والثواب، الأمر الذي يؤدي إلى تقل ميزانه بالأعمال الصالحة يوم القيامة، بل ويجعله قريباً من النبي ﷺ ومن شفاعته. يقول عليه السلام: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"⁽¹⁾. وكيف لا وقد سئل النبي عليه السلام عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"⁽²⁾.

وإليك بعض أقوال السلف في تعريف حسن الخلق:

قال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندي وكف الأذى.
وقال الواسطي: هو ألا يخاصم، ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى.

وقال شاه الكرمانى: هو كف الأذى واحتمال المؤمن.
وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه.
وقال علي - عليه السلام: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال.
وقال الحسين بن منصور: هو ألا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق.

وقال أبو سعيد الحزاز: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى⁽³⁾.

ونشير الآن إلى بعض الأخلاق الفاضلة التي تعمل على نشر

(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة - 670/4 - رقم 2018.

(2) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة - 363/4 - رقم 2003.

(3) إحياء علوم الدين 85/3، 86.

الألفة والمحبة بين المسلمين، كما تعوض المسلم عما كتب على أعضائه من الصدقات في كل يوم، وهذه الأخلاق هي:

- طلاقة الوجه عند اللقاء.

- كف الشر.

- العفو عن الناس.

طلاقة الوجه عند اللقاء:

يقول النبي ﷺ: "كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق"⁽¹⁾، يقول أيضاً: "تبسمك في وجه أخيك صدقة"⁽²⁾.

... من علامات الإيمان حسن استقبال المسلم بوجه طلق مستبشر متهلل بالانشراح والابتسام، وهو إكرام معنوي ينبغي أن يسبق الإكرام المادي، يقول الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يقرى القرى وهو يضحك

والوجه البشوش المنبسط دليل على سلامة الصدر، وطهارة الباطن من الأحقاد والضغائن، كما أنه يشعر من تلقاه بسرورك للاقائه ومحبتك إياه، فتزداد أواصر المحبة بينكما. وهذا ما يريده النبي الكريم ﷺ من ترغيبه في طلاقة الوجه والتبسم عند اللقاء، فالأمة المتحاببة أمة مترابطة قوية، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

والرسول ﷺ الأسوة الحسنة والقُدوة الطيبة كان أكثر الناس تبسماً في لقائه بالناس، وفي حديثه معهم، وكان أبو الدرداء لا يحدث

(1) رواه الترمذی - كتاب البر والصلة 347/4 - رقم 1970.

(2) رواه الترمذی - كتاب البر والصلة 340/4 - رقم 1956.

بحديث إلا تبسم فيه، فقالت زوجته أم الدرداء: إني أخشى أن يحملك الناس؟ فقال: "كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم"⁽¹⁾.

وإذا كان النبي الكريم يدعو إلى البشاشة والتبسم في وجوه الآخرين، فإنه يحذر من كثرة الضحك، لأنها تميم القلب وتذهب الوقار وتضيع الهيبة وتصرف عن جلائل الأمور، فيقول عليه السلام: "ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميم القلب"⁽²⁾.

ومن هنا ينبغى على المسلم أن يكون باشا في وجوه الناس منبسطة مبتسماً، ولكن بالقدر الذى يحفظ له وقاره وهيئته، كما ينبغى أن يكون، إذا مزح متحفظاً في مزاحه مع الآخرين صادقاً فيه مقتصرأ غير مسرف، فالمزاح بمثابة ملح الطعام الذى يوضع بقدر، لأن قلته وزيادته تضران بالطعام، أما من يلجأ إلى الكذب حتى يضحك الناس فهو آثم، واقع في معصية الله ورسوله.

يقول النبي ﷺ: "ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له"⁽³⁾.

وليكن قدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً، ومن مزاحه الكريم الذى يذهب عن النفس همها ومللتها ولا يمس وقارها: عن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال: "إني حاملك على ولد الناقة. فقال: يا رسول الله: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق؟"⁽⁴⁾.

(1) رواه أحمد بإسناد حسن 78/16 - رقم 21632.

(2) رواه الترمذى - كتاب الزهد 550/4 - رقم 2350.

(3) رواه أبو داود - كتاب الأدب 299/4 - رقم 4990.

(4) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة 357/45 - رقم 1991.

وجاءته عجوز فقالت: "يا رسول الله: ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان: إن الجنة لا تدخلها عجوز. فولت تبكي. قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز. إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾⁽¹⁾.

كف الشر:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "على كل مسلم صدقة". قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: "يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يأمر بالمعروف أو الخير". قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: "يمسك عن الشر فإنها صدقة"⁽²⁾، وفي رواية أخرى "تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك"⁽³⁾.

... من الخصال الإيمانية التي دعا إليها الإسلام كف الشر عن الناس وجبس الأذى عنهم، فالمسلم الحقيقي الحريص على رضا الله ومغفرته وجنته هو الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر. يقول النبي ﷺ: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"⁽⁴⁾.

كما يجعل النبي الكريم أفضل المسلمين من سلم الناس من شره وأذاه؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله... أى المسلمين

(1) انظر تفسير ابن كثير 311/4 - الواقعة 35 - 36.

(2) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان 176/1 - رقم 5890.

(3) رواه مسلم - كتاب الإيمان 88/1 - رقم 83.

(4) رواه أحمد بإسناد صحيح 317/6 - رقم 6807.

أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"⁽¹⁾.

ومن صور إيذاء المسلم:

1- إيذاء بالقلب:

وهو الحسد والحقد والبغضاء وسوء الظن به. يقول النبي ﷺ:
"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا
تتاجسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله
إخواناً"⁽²⁾.

2- إيذاء بالعين:

وهو النظر إليه باحتقار وازدراء. يقول النبي ﷺ: "حسب امرئ
من الشر أن يحقر أخاه المسلم"⁽³⁾.

3- إيذاء باللسان:

كالسب والشتم والقذف والغيبة والنميمة والسخرية، والنبذ باللقاب
السبئية.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ
احْتَكَلُوا بُهْتًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾⁽⁴⁾. ويقول أيضاً: ﴿إِنِّي أَنَا الَّذِي أَمْشُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ
عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بَسَّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَسِبْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) رواه الترمذی - کتاب الإیمان 17/5 - رقم 2627.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 147/3 - رقم 1660.

(3) رواه ابن ماجه - کتاب الزهد 1409/2 - رقم 4213.

(4) سورة الأحزاب - 58.

(5) سورة الحجرات آية 11.

4- إيذاء باليد:

كالضرب والسرقة. يقول النبي ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"⁽¹⁾. ويقول أيضاً: "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"⁽²⁾.

العفو عن الناس:

يقول رسول الله ﷺ: "أعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟" قالوا: ومن أبو ضمضم؟ قال: "رجل فيمن كان من قبلكم قال: عرضي لمن شتمني." وفي رواية: "كان إذا أصبح قال: اللهم إنني تصدقت بعرضي على عبادك"⁽³⁾.

... إذا كان الإسلام يأمر المسلم بكف الشر عن الناس ومنع الأذى عنهم، فإنه في الوقت نفسه يرغب من وقع عليه الأذى في احتمالته والعفو عن صاحبه لأنه من صفات المحسنين وأخلاق المتقين: يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾.

ويضرب لنا النبي الكريم ﷺ أروع الأمثلة في العفو عن المخطئ والتجاوز عن المسيء، ولعل أشهر ما يعرف عن عفو عليه السلام يوم الفتح الأعظم عندما عفا عن أهل مكة الذين آذوه وطردوه من بلده، وقال لهم كلمته الشهيرة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

(1) رواه ابن ماجه - كتاب الفتن 1298/2 - رقم 3934.

(2) رواه مسلم - كتاب البر والصلة - 1986/4 - رقم 2564.

(3) رواه أبو داود - كتاب الأدب - / 273 - 4886.

(4) سورة آل عمران. الأيتان 133، 134.

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: " لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فمر ما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين*." فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً⁽¹⁾.

فالفو عن الناس خلق كريم ينبغي أن يتحلى به المؤمن، لأن الانتقام للنفس سبيل الشيطان إلى الوقوع فى المعاصى والآثام، ونشر العداوة والبغضاء بين المؤمنين، فالمؤمن لا ينتقم إلا إذا وجد انتهاكاً لحرمات الله، فساكتئذ يتوجب الردع والإنكار.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى"⁽²⁾.



* هما الجبلان المحيطان بمكة.

- (1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 182/2 - 1173.
(2) رواه مسلم - كتاب الفضائل 1714/4 رقم 2328.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِصَافَةُ عَوْنِ الْمُؤْمِنِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن أبى موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "على كل مسلم صدقة". قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: "يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف..."⁽¹⁾.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة..."⁽²⁾.

... الإسلام دين الرحمة والإحسان يدعو أتباعه إلى الشفقة والتسامح، ويحثهم على العون والمساعدة للآخرين، الغنى يعطف على الفقير، والقوى يرحم الضعيف، والصحيح يسأل عن المريض ويدعو له، وكل مسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وذلك لأن المسلمين أخوة كما يقول تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽³⁾. ولا ينبغي أن يكون بين الأخوة إلا الألفة والمودة، والرحمة، والتسامح، وما أصدق تصوير النبي ﷺ للمؤمنين المتراحمين المتعاطفين بالجسد الواحد إذا ألم منه عضو ألم له سائر الأعضاء؛ يقول عليه السلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁽⁴⁾.

(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 176/1 رقم 589.

(2) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 777/1 رقم 590.

(3) سورة الحجرات: آية 10.

(4) رواه مسلم - كتاب البر والصلح: 4/1999 رقم 2586.

والرحمة بالمؤمنين والشفقة عليهم طريق إلى رحمة الله ورضوانه، كما أن الغلظة معهم والشدة عليهم طريق إلى غضبه وعذابه. يقول النبي الكريم في الراحمين: "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"⁽¹⁾. ويحذر قساة القلوب حداد الألسن بقوله: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل"⁽²⁾. ويقول أيضاً عليه السلام: "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"⁽³⁾. والشقاء قد يكون في الدنيا والآخرة معاً.

ومن علامات أخوة المؤمنين وتراحمهم وتعاطفهم إعانة بعضهم البعض، ففي المجتمع المسلم المتآخي المتراحم نجد نصرة للضعيف من القوى، ومعونة للفقير من الغنى، وتوقيراً وإجلالاً للكبير من الصغير، وشفقة وحناناً للصغير من الكبير، وتفريجاً لكرب المكروبين، وتفتيساً لهم المهمومين، وتيسيراً على المعسرين، وعفواً عن المخطئين، وقضاءً لحاجة المحتاجين، وستراً لعورات المسلمين.

يقول النبي الكريم ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً عليه السلام: "ومن يسر على معسر يسر الله عليه

(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة: 324/4 رقم 1924.

(2) رواه مسلم - كتاب الفضائل: 1809/4 رقم 2319.

(3) رواه أبو داود - كتاب الأدب: 287/4 رقم 4941.

(4) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 149/3 - رقم 1667. ولا يسلمه: لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه⁽¹⁾.

فعون المسلمين والسعى فى مصالحهم من أفضل ما يتقرب به المؤمن إلى ربه، فأحب الأعمال إلى الله تعالى ما كان فيه خير الناس ونفعهم مما يستطيع من مال أو نصيح أو علم أو شفاعة أو دلالة على الخير. يقول تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

والأجر على ذلك العمل - عون المسلمين - يعجل فى الدنيا قبل أجر الآخرة، فحسب الإنسان المعين غيره فى حوائجه أن يكون الله العزيز الحكيم معيناً له فى حوائجه مدبراً له أموره.

يقول النبى الكريم فى حديث آخر: "لا يزال الله فى حاجة العبد ما كان فى حاجة أخيه"⁽³⁾.

كما أن أحب الناس إلى الله تعالى، أنفعهم للناس؛ يقوم على مصالحهم ويقضى لهم حاجاتهم، فالقائم بذلك صاحب منزلة عند الله تعالى وآمن من عذابه يوم القيامة.

يقول النبى ﷺ: "إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله"⁽⁴⁾.

وذلك لأن قضاء حوائج الناس من أسباب سعادتهم، وانشراح صدورهم وبهجة قلوبهم، وإدخال السرور على المسلمين يعد من أفضل الأعمال بعد الفرائض، كما يقول النبى الكريم ﷺ: "إن أحب الأعمال إلى

(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة: 326/4 - رقم 1930.

(2) الحج 77.

(3) الهيثمى فى مجمع الزوائد 193/8، وقال: رجاله ثقات.

(4) مجمع الزوائد 192/8، وفى الترغيب والترهيب 390/3 - رقم 3.

اللَّهُ تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم⁽¹⁾ .

ونظرة سريعة في سيرة سلفنا الصالح توقفنا على مدى استجابتهم لأوامر الله ورسوله ﷺ في إعانة الضعفاء وقضاء حوائج المحتاجين: فهذا عمر بن الخطاب يروى أنه كان يتعاهد الضعفاء والأرامل ويشملهم بالرعاية، وراه طلحة داخلاً بيت امرأة ليلاً، فدخل عليها نهراً، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت له: منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يصلح شأنى، ويخرج الأذى عني، ويقم لى بيتى⁽²⁾ . وبعد أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان يشترط فيمن يريد صحبتته خمس خصال: أولها: تعريفه، بحاجة من لا تبلغه حاجته حتى يقضيها. يقول ﷺ: "ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس: يوصل إلينا حاجة من لا تصل إليها حاجته، ويدلنا من العدل على ما لا نهتدى إليه، ويكون عوناً لنا على الحق، ويؤدى الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغترب عندنا أحداً.

ويروى عن الحسن البصرى أنه بعث جماعة من أصحابه فى حاجة لرجل وقال لهم: مروا بثابت البناني فخذوه معكم. فأتوا ثابتاً فقال: إني معتكف. فرجعوا إلى الحسن فأخبروه. فقال: قولوا له: يا أعمش! أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت فأخبروه، فترك اعتكافه وذهب معهم.

الصفات المتعلقة بعون المؤمن:

بعد حديثنا عن عون المؤمنين وفضله ومكانته فى الإسلام، فإننا

(1) مجمع الزائد 193/8، وفى الترغيب والترهيب 394/3 - رقم 20.

(2) يقم لى بيتى أى يكتسه.

نخصص الحديث ببيان بعض وجوه إعانة المؤمنين والتي تقوم مقام الصدقة، وتعوض العاجز عن أداء صدقة المال حتى يؤدي ما كتب على بدنه من الصدقات في كل يوم.

والصدقات التي تتعلق بعون المؤمن هي:

أ - إرشاد الطريق. ب - البيان عن الارتعاش.

ج - الشفاعة. د - القرض.

هـ - المنيحة. و - سقى الماء؟

ز - تعليم المسلم.

إرشاد الطريق:

يقول رسول الله ﷺ: "..... وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة...." (1) وفي رواية: "تهدي الأعمى وتسمع الأصم وتدل المستدل على حاجته....." (2).

... ومن عون المؤمن إرشاده إلى ما يريد من طريق أو منزل أو شخص أو مصلحة أو غير ذلك مما يسأل عنه، فالسائل عن هذه الأمور مستغيث يحتاج إلى مساعده، وضال يحتاج إلى هداية، وحائر يحتاج إلى رشاد، والمعين له متصدق عليه بعافيته، إذا هم له بالهداية والإرشاد إلى مقصوده، ويزاد أجر الصدقة بقدر ما يسعى معه حتى يوصله إلى غايته، فزيادة السعي تستتبع زيادة الأجر والثواب.

وربما كان المستدل على حاجته أعمى لا يبصر، أصم لا يسمع، أميًا لا يقرأ ولا يكتب، فعندئذ تزداد الحاجة إلى المرشد المخلص الراغب

(1) رواه الترمذی - کتاب البر والصلة: 340/4 - رقم 1956.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 542/15 - رقم 21376.

فى حصول الأجر وإن كان فىه بعض المشقة، فالمؤمن عون لأخيه المؤمن، يحب له ما يحبه لنفسه، يضع نفسه مكانه ويشعر بمشاعره، ويعلم أنه بقدر ما يحسن يحسن إليه، وكلما كان حريصاً على مصالح الناس ساعياً فى حاجاتهم معيناً لهم عليها، كلما كان عون الله له وتوقيفه فى الدنيا، فضلاً عما ينتظره عند الله من الفضل العظيم.

البيان عن الأثر:

يقول رسول الله ﷺ: "..... وبيانك عن الأثر صدقة" (1).

... الأثر هو الذى لا يصح كلامه ولا يفصح ولا يبينه لعله فى لسانه أو أسنانه تجعله يجد صعوبة فى توصيل كلامه للآخرين.

ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى من يعينه فى إبلاغ مراده لمن يسمعه، لأن عدم إجادته للكلام ربما يصيبه شىء من الإحباط وضيق الصدر، ولذا وجبت معاونته والبيان عنه، لا سيما من يكون قريباً منه لرحم أو صداقة أو زمالة ويفهم ألفاظه وتعبيراته.

ويجدر هنا أن نشير إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، والذى طلب من ربه أن يزيل عقدة لسانه (حبسته وعجمته) حتى يفصح كلامه ليفهمه الناس كما قال تعالى، على لسان موسى: ﴿لَمَّا أَشْرَحَ لِي صَدْرِي وَيَسَّرَ لِي أَمْرِي ۖ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (2).

وقال المفسرون: إن هذه العقدة حدثت لما كان موسى فى حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمه وأخذ بلحيتة فنتفها. فقال فرعون

(1) رواه أحمد بإسناد صحيح: 504/15 - رقم 21260. وقد ورد الحديث فى رواية أخرى بلفظ "الأثر" بالثاء، والأثر، والأثر، والأثر جمعاً بمعنى، وهو من لا يجيد الكلام لعله فى لسانه. انظر لسان العربى مواد: رت، رتم، رثم. (2) سورة طه الآيات 25-28.

لزوجته آسية: هذا عدوى فهات الذباحين. قالت: على رسلك فإنه صبي لا يفرق بين الأشياء، ولتبين له ذلك جاءت بطستين فجعلت في أحدهما جمرأ والآخر جوهرأ، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرته ووضعها في فيه على لسانه فكانت العقدة.

وقيل: كانت هذه العقدة خلقه الله تعالى فسأل موسى ربه إزالتها⁽¹⁾.

الشفاعة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب⁽²⁾.

... الشفاعة هي الوساطة من أجل إيصال الخير والنفع إلى الإنسان ، وهي من باب التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى، حيث يطلب شخص من آخر أن يتوسط له عند ذي ملك أو سلطان لقضاء حاجته عنده، وهذه الحاجة قد تنفعه في دنياه، كالتوسط لعطاء، أو تجاوز عن عقوبة، أو لشغل وظيفة. وقد تنفعه في آخرته، كالتوسط للجهاد في سبيل الله، والتوسط للبدل والصدقة.

والشفاعة في الخير أمر مندوب إليه، حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَنْ شَفَعَ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾⁽³⁾. وحث عليه النبي الكريم كذلك كما في الحديث المذكور، لما يترتب عليها من حصول الخير

(1) انظر تفسير الطبري: 454/8، تفسير الرازي: 594 / 10، وتفسير القرطبي: 4399/9.

(2) رواه مسلم: كتاب البر والصلة 4/ 2062 - رقم 20627.

(3) النساء آية 85.

والمنفعة، وبإد في الحديث أن أجر الشفاعة واقع، سواء قضيت المصلحة أم لم تقض.

وما ينبغي أن يشار إليه أن هناك شفاعة سيئة، وهي التي بسببها تعطل الحدود، ولأجلها تضيع الحقوق وتعطى لغير أصحابها، فهي شفاعة منهي عنها. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾⁽¹⁾. أى أنه شريك في الإثم الناجم عن شفاعته السيئة. ويقول النبي الكريم: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره"⁽²⁾.

ولعلنا نذكر هنا موقف النبي الحازم من شفاعة أسامة بن زيد - حب رسول الله - للمرأة المخزومية التي سرقت، وقولته الشهيرة: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"⁽³⁾.

فالشفاعة المرغوب فيها المأجور عليها هي الشفاعة الحسنة، والتي تكون في الحق، ولا يقع من جرائمها مخالفة لشريعة الله، ومن أمثلة الشفاعة الحسنة:

1- الشفاعة في النكاح: يقول ﷺ: "من أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين في النكاح"⁽⁴⁾.

2- الشفاعة في الإصلاح: فيها يحقن الدم، وتجر المنفعة إلى آخر، ويدفع المكروه عن الآخر.

(1) النساء آية 85.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 48/5 - رقم 5385.

(3) مسلم - كتاب الحدود: 1315/3 - رقم 1688.

(4) رواه ابن ماجه - كتاب النكاح: 635/1 - رقم 1975.

3- الشفاعة في وضع الدين: عن جابر رضي الله عنه قال: "أصيب عبد الله وترك

عيالاً وديناً فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً من دينه، فأبوا، فأتيت النبي ﷺ فاستشفعت به عليهم..."⁽¹⁾.

4- الدعاء: وهو من أفضل الشفاعات أن يشفع المؤمن لأخيه عند ربه.

يقول النبي الكريم: "دعوة المرء المسلم لأخيه - المسلم - بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"⁽²⁾.

غير أننا نلاحظ على بعض الجهلة من المسلمين أنهم يستشفعون بالأموات الصالحين ويطلبون منهم الشفاعة. عند الله تعالى لقضاء حوائجهم، فيقتربون بذلك من صنيع المشركين الذين كانوا يتخذون الأصنام واسطة تقربهم إلى الله، كما أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾⁽³⁾.

فهؤلاء الذين يستشفعون بالأموات قد جمعوا بين عظمتين:

الأولى: دعاء غير الله تعالى وهو شرك أكبر.

والثانية: قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه به، حيث طلبوا له واسطة

كما تطلب للمخلوق من ذوى السلطان، وجعلوا أن المخلوق قد يخفى

عليه أمر الإنسان فيحتاج إلى من يعلمه به وينبئه إليه، بخلاف الرب

تبارك وتعالى فإنه عليم بأحوال عبادة، لا يخفى عليه من أمرهم شيء،

فما هو في حاجة إلى من يعلمه بأحوال عباده أو ينبئه إليها.

(1) البخارى - كتاب الاستقراض: 635/1 - رقم 1975.

(2) مسلم - كتاب الذكر والدعاء: 2094/4 - رقم 2733.

(3) سورة الزمر: آية 3.

وإذا كان المخلوق قد يعجز عن رفع حاجته إلى من يقضيها له، من سلطان وغيره فيضطر إلى البحث عن واسطة يشفع له برفع حاجته إلى من يقضيها له، فإن الأمر بالنسبة إلى الله تعالى يختلف تمام الاختلاف إذ العبد مع الله تعالى يمكنه أن يرفع إليه حاجته مباشرة بدون واسطة لعلمه تعالى بأحوال عباده وقربه منهم بخلاف المخلوقين، فإنهم لجهلهم بأحوال الناس وعجزهم عن كفايتهم يحتاج طالب الحاجة منهم إلى واسطة ترفع حاجته إليهم ليعلموها وتؤثر عليهم ليقضوها، وهذا المعنى منتف مع الله تعالى تماماً.

ومن هنا قبح بالعبد أن يستشفع على ربه بأحد من خلقه، وحسن به أن يسأل ربه مباشرة وبغير واسطة، وكيف ورّبه تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١).

القرض:

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة". قال: ثم سمعته يقول: "من أنظر معسراً فله بكل يوم مثليه صدقة". قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: "من أنظر معسراً فله لكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة" (٢).

ويقول رسول الله ﷺ: "رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما

(١) البقرة ١٨٦، وانظر عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري: ١٢٠، ١٢١.

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح: ٥٠٩/١٦ رقم ٢٢٩٤٢.

بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمقترض لا يستقرض إلا من حاجة⁽¹⁾.

... ومن صور إعانة المسلمين بعضهم بعضاً قرض المحتاج، ففيه تفريح لكربه وقضاء لحاجته، وإدخال للسور عليه، لأن المؤمن لا يقترض إلا إذا أعوزته الحاجة إلى القرض، فتكون إجابته أولى من إجابة السائل المسكين الذي قد يكون عنده ما يسد حاجته.

وقد كان سلفنا الصالح حريصين كل الحرص على تحصيل أجر القرض وثوابه، فيروى أن سليمان بن أدنان كان يقرض علقمة ألف درهم إلى عطائه، فلما خرج عطاؤه تقاضاه منه واشتد عليه فقضاء: فكان علقمة غضب، فمكث أشهراً ثم أتاه فقال: أقرضني ألف درهم إلى عطائي. قال: نعم وكرامة، يا أم عتبة، هلمي تلك الخريطة المختومة التي عندك فجاءت بها، فقال: أما والله إنها لدرامك التي قضيتني، ما حركت منها درهماً واحداً. قال: فله أبوك! ما حملك على ما فعلت بي؟ قال: ما سمعت منك، قال: ما سمعت مني! قال: سمعتك تذكر عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة"⁽²⁾.

وحتى يكون ثواب القرض كاملاً، فينبغي ألا يجبر نفعاً على صاحبه كهدية أو زيادة في المال عند رده، أو استغلال المقترض في قضاء بعض الصالح اعتماداً على ما أقرضه من مال، فهذا كله محرم، ويعد من الربا.

وقد نهى النبي عليه السلام أن يستغل القرض في جلب المنفعة.

(1) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 2 / 812 رقم 2431.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 2 / 812 رقم 2430.

فعن يحيى بن اسحق الهنائي قال: سألت أنس بن مالك: الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدى له، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أقرض أحدكم قرضاً فأهدى له أو حمله على الدابة، فلا يركبها ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك"⁽¹⁾.

وحتى يتضاعف أجر القرض، فعلى المقرض أن يتحلى بالصبر والحلم والتيسير على المقرض، يقول النبي الكريم: "من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله"⁽²⁾، وعليه أيضاً أن يكون حسن المطالبة لحقه لقوله ﷺ: "خذ حَقَّك في عفاف وواف أو غير واف"⁽³⁾.

أما المقرض فينبغي أن يكون حريصاً على سداد دينه حتى يعينه الله على سداذه، يقول النبي الكريم: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله"⁽⁴⁾.

كما ينبغي أن يكون حسن الأداء والقضاء، لقوله عليه السلام: "إن خياركم أحسنكم قضاء"⁽⁵⁾، فتقصيره في أداء الدين مع القدرة عليه اعتداء وظلم، كما يقول النبي الكريم: "مطل الغنى ظلم"⁽⁶⁾، والغنى هنا القادر على السداد، ويقول أيضاً: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه"⁽⁷⁾.

كما ينبغي على المقرض أن يكون حافظاً لمعروف مقرضه، فلا

(1) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 812/2 رقم 2432.

(2) رواه الترمذي - كتاب البيوع: 59/3 رقم 1306.

(3) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 809/2 رقم 2422.

(4) رواه البخاري - كتاب الاستقراض: 66/5 رقم 2387 فتح.

(5) رواه البخاري - كتاب الاستقراض: 69/5 رقم 2390 فتح.

(6) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 117/2 رقم 1008.

(7) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 806/2 رقم 2413.

يجد هذا المعروف، ولا يقلل من قدره، بل يشكره ويدعو له، يقول عليه السلام: "من أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا الله حتى تعلموا أن قد كافأتموه"⁽¹⁾.

وعندما اقترض النبي ﷺ حين غزا حنيناً ثلاثين أو أربعين ألفاً، وقضاها لصاحبها بعد قدومه، قال له النبي الكريم: "بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد"⁽²⁾.

المنحة:

يقول رسول الله ﷺ: "خير الصدقة المنحة تغدو بأجر وتروح بأجر، ومنحة الناقة كعتاقة الأحمر، ومنحة الشاة كعتاقة الأسود"⁽³⁾.

يقول عليه السلام: "من منح منحة غدت بصدقة وراحت بصدقة صبحوها وغدوها"⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً: "نعم الصدقة اللقحة الصفى منحة، الشاة الصفى منحة تغدو بإناء وتروح بإناء"⁽⁵⁾.

... من أجمل صور التعاون بين المسلمين، ومن علامات توادهم وتراحمهم المنحة، وهى كل ما يعطى للانتفاع به ثم رده، كمن يعطى شاة لآخر لينتفع بلبنها، أو شجرة ليأكل ثمرها أو أرضاً ليزرعها، وغير ذلك مما يمنح ويرد، على أن تكون العطية دون مقابل، لأن النبي ﷺ خرج إلى أرض تهتز زرعاً فقال: لمن هذه؟ فقالوا: اكترأها فلان (استأجرها)، فقال

(1) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 131/2 رقم 1672.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 809/2 رقم 2424.

(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 392/8 - رقم 8686، وعتاقة الأحمر أى عتق الأبيض.

(4) مسلم - كتاب الزكاة: 707/2 - رقم 1019.

(5) البخارى: 287/5 - رقم 2629 فتح، واللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة، والصفى أى الكريمة العزيزة اللبن ويقال لها الصفية أيضاً.

عليه السلام: "أما أن لو منحها إياه كان خيراً له من أن يأخذ عليها أجراً معلوماً"⁽¹⁾.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في تقديم المنائح لإخوانهم المهاجرين وعلى رأسهم النبي الكريم: تقول السيدة عائشة: "إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في بيوت رسول الله ﷺ نار"، قال عروة: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه"⁽²⁾.

ويقول أنس بن مالك: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة"⁽³⁾.

وحين استغنى المهاجرون بالفتوح ردوا إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر، يخبر أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم"⁽⁴⁾.

ويروى أنس أيضاً أن الرجل كان يجعل للنبي ﷺ النخلات من أرضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل بعد ذلك يرد عليه ما كان أعطاه"⁽⁵⁾.

(1) البخارى - كتاب الهبة 288/5 - رقم 2634 فتح.

(2) مسلم - كتاب الزهد: 2283/4 رقم 2972.

(3) مسلم - كتاب الجهاد والسير: 1391/3 - رقم 1771.

(4) مسلم - كتاب الجهاد والسير: 1392/3 - رقم 1771.

(5) المرجع السابق - رقم 1772.

فالمنيحة على أى شكل كانت ينبغى أن ترد إلى صاحبها بعد الانتفاع بها يقول النبى الكريم: "العارية مؤداه والمنيحة مردودة"⁽¹⁾.

سقى الماء:

عن سعد بن عباد قال: "قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل؟ قال: "سقى الماء"⁽²⁾.

وفى رواية أن سعداً أتى النبى ﷺ فقال: أى الصدقة أعجب إليك؟ قال: "الماء"⁽³⁾.

... جعل الله تعالى الماء أصلاً لكل الأحياء، وسبباً لحياتهم، فلا يستطيعون العيش بدونه، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽⁴⁾. فكل المخلوقات على وجه البسيطة على اختلاف أنواعها وألوانها وأحجامها تخرج من أصل واحد وهو الماء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾⁽⁵⁾.

ومن ثم فإن حاجة الأحياء إلى الماء دائمة لا تنتقطع، لأنه أصل خلقتهم فلا يغنى عنه غيره، ولذلك فالسقاية وبذل الماء لطالبه مما يسأل عنه العبد يوم القيامة، كما جاء فى الحديث القدسى: "يا ابن آدم استقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين، قال: استسفاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي"⁽⁶⁾.

(1) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 801/2 - رقم 2398: والعارية: ما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك والجمع عوار.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الأدب: 1214/2 - رقم 3684.

(3) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 133/2 - رقم 1679 وأعجب إليك أى أحب إليك.

(4) الأنبياء: 30.

(5) النور: 45.

(6) مسلم - كتاب البر والصلة: 341/8 - رقم 6501 صحيح مسلم بشرح النووى - مكتبة الإيمان.

والنبي الكريم يرغب فى سقى الماء ويجعله من أفضل الصدقات لعلمه عليه السلام بمدى حاجة البدن إليه وعدم قدرته على الاستغناء عنه، يقول ﷺ: "أما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم"⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: "يصف الناس يوم القيامة صفوفاً (وقال ابن نمير: أهل الجنة) فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقيت شربة؟ قال فيشفع فيه، ويمر الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهوراً فيشفع فيه"⁽²⁾.

والتغيب فى سقى الماء لا يقتصر على الإنسان فحسب، وإنما أيضاً على جميع ما يكون الماء سبباً فى حياته.

يقول النبي الكريم: "بينما رجل يمشى بطريق، اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا فى هذه البهائم لأجرأ؟ فقال فى كل كبد رطبة أجر"⁽³⁾.

وعن سراقه بن جعثم قال: سألت رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضى قد لطمتها لإبلى فهل لى من أجر إن سقيتها؟ قال: "نعم، فى كل

(1) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 133/2 - رقم 1682.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الأدب: 1215/2 - رقم 3685.

(3) مسلم - كتاب السلام: 1761/4 - رقم 224.

يلهث: يخرج لسانه من شدة العطش والإعياء. والثرى: التراب الندى، وكبد رطبة: يريد كبد حية، وكنى بالرطوبة عن الحياة.

ذات كبد حرى أجر" (1).

ويعد سقى الماء من أفضل الصدقات الجارية التى يرجى ثوابها،
وينتفع بها الحى والميت، فعن سعد بن عبادة أنه قال: "يا رسول الله إن أم
سعد ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال الماء، فحفر بئراً، وقال هذه لأم
سعد" (2).

تعليق المسلم:

يقول النبى ﷺ: "أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم
يعلمه أخاه المسلم" (3).

• • • إن من أعظم الصدقات التى يتقرب بها المسلم إلى ربه تعليم أخيه
المسلم، فهو أفضل ما يعين به أخاه المؤمن، فبه يخرج من ظلمات الجهل،
ويبعده عن برائن شياطين الإنس والجن، كما يحصنه بسلاح قوى يجابه به
محن الحياة ومشكلاتها، ويمكنه كذلك من التوصل إلى السعادة الحقيقية فى
دنياه وأخراه، ولذلك فإن النبى ﷺ يحذر من كتمان العلم وحرمان الناس
من فوائده فيقول: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من
نار" (4).

ويتبدى حرص الإسلام على العلم وإعلاء شأنه من أول آية نزلت
على صدر النبى ﷺ حيث كان الأمر بالعلم هو أول أمر وجه إلى النبى

-
- (1) رواه ابن ماجه - كتاب الأدب: 1219/2 - رقم 3686.
تغشى حياضها: تنزلها، ولطتها: أصلحتها. كبد حرى: الحرى؛ فعلى من الحر وهى
ثانيث حران وهما للمبالغة يريد أنها لشدة حرها قد عطشت ويبست من العطش. قال
ابن الأثير: والمعنى أن فى سقى كل ذى كبد حرى أجر.
(2) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 133/2 - رقم 1681.
(3) رواه ابن ماجه - المقدمة: 89/1 - رقم 243.
(4) رواه الترمذى - كتاب العلم: 29/5 - رقم 2649.

الكريم، يقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ﴾ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽¹⁾.
كما أن النبي لم يؤمر بالاستزادة من شيء إلا من العلم بياناً لشرفه وتأكيداً لفضله، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾⁽²⁾. وذلك لأنه طريق إلى طاعة الله وخشيته كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽³⁾.

ولذلك فإن النبي ﷺ يرغب في العلم ويحث عليه ويجعل الساعي في طلبه كالمجاهد في سبيل الله. يقول ﷺ: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"⁽⁴⁾.

ومن ثم فإن طريق الجنة ميسر لذلك المجاهد في طلب العلم. يقول ﷺ: "من سلك طريقاً بينغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء"⁽⁵⁾.

والثمرة العظيمة للعلم تظهر في أثره الطيب على حامله، ومن يحمله إليهم، فالعالم ينبغي أن يكون أول من ينتفع بعلمه، ويجنى ثمرته ويأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، حتى ينتقل ذلك الأثر إلى من يحمله إليهم، فهو قدوة يتأسى بها ومثل يحتذى به.

وقد قسم النبي ﷺ الناس في انتفاعهم بالعلم وعدم انتفاعهم ثلاثة

(1) العلق: 1 - 5.

(2) طه: 114.

(3) فاطر: 28.

(4) رواه الترمذى - كتاب العلم: 29/5 رقم 2647.

(5) رواه الترمذى - كتاب العلم: 28/5، 29 رقم 2646، 2682.

أقسام فيقول: "مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به"⁽¹⁾.

ويقول النووى فى شرح هذا الحديث: الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس، فالأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحياى بعد أن كان ميتاً، وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب بالشرب والرعى والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحياى به قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثانى من الأرض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة وهى إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب، وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم فى العقل يستنبطون به المعانى والأحكام، وليس عندهم اجتهاد فى الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتى طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم فيأخذهم منهم فينتفع به.

والنوع الثالث من الأرض السباخ التى لا تنبت ونحوها، فهى لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به أحد من الناس أو الدواب، وكذا النوع الثالث من الناس، ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم

(1) مسلم - كتاب الفضائل: 1787/4 رقم 2282.

(1) لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم

وتعليم الناس من الصدقات الجارية التي تجرى أجورها على أصحابها بعد موتهم. يقول النبي ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (2)

فهذه دعوة من النبي الكريم لكل مسلم نال حظاً من العلم ولو قليلاً أن يتصدق على الناس بعلمه، فيهديهم إلى الخير والرشاد، ويبصرهم بما ينفعهم أو يضرهم، وبما يقربهم من الله أو يبعدهم.

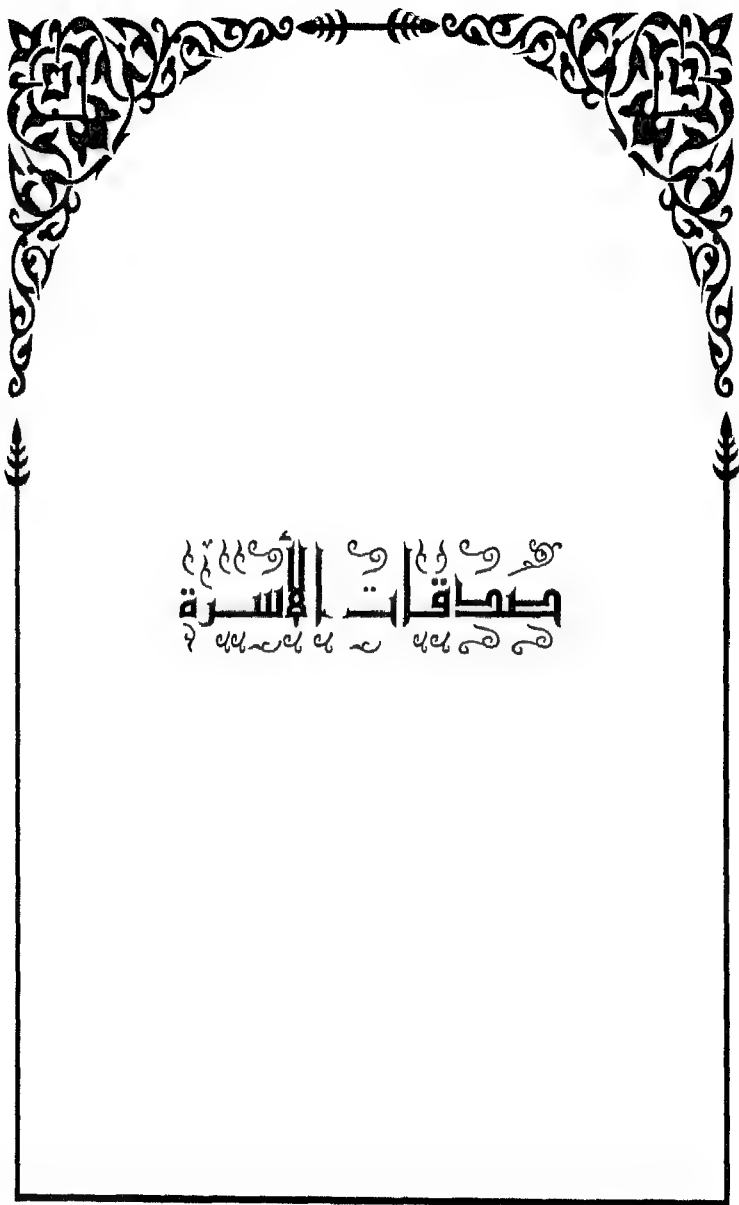
فذلك العلم أمانة استودعها الله إياه فينبغي أن يؤديها إلى أهلها لأنه يعاقب على تقصيره فيها، كما أنه يثاب على أدائها، بل وينال مثل أجر من كان سبباً في هدايتهم دون أن ينقص من أجورهم شيئاً. يقول النبي ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (3)



(1) شرح صحيح مسلم للنووي: 144/5.

(2) رواه الترمذي - كتاب الأحكام: 651/3 رقم 1376.

(3) رواه مسلم - كتاب العلم: 2060 رقم 2674.



عن أبى هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقية، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك"⁽¹⁾.

... الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وصالحها طريق إلى صلاح المجتمع، وفسادها طريق إلى فساده ولذلك فقد وضع الإسلام الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الأسرة المسلمة لتكون انطلاقة إلى مجتمع سوى صالح تسود فيه الفضائل وتحترم فيه الحقوق، وتؤدي فيه الواجبات، يعرف فيه الكبير حق الصغير، والصغير فضل الكبير، الأمر الذي يخلق مجتمعاً فاضلاً راسخ الأسس قوى البنين، تغمر أجواءه الألفة والمودة، وتربط بين أفرادها أواصر محكمة تقوم على الاحترام المتبادل بين الجميع.

هذا المجتمع الذي يحمل مشعل الهداية للناس جميعاً، ويحمل على كاهله أمانة هذا الدين الحنيف ومسئولية نشره والدعوة إليه، وقبل أن يدعو إليه بالقول والكلمة يدعو إليه بالعمل والسلوك حتى يكون لدعوته في القلوب أثر وفي النفوس صدى.

ونتحدث الآن عن بعض الأخلاق والآداب الإسلامية التي من شأنها أن تؤدي إلى أسرة سعيدة، وفي الوقت نفسه تقوم مقام الصدقة، ويحصل لها أجرها، وهذه الأخلاق هي:

(1) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 692/2 رقم 995.

أ - النفقة على النفس.

ب - النفقة على الأهل.

ج - حسن معاشرة الزوجة.

د - تأديب الولد.

النفقة على النفس:

عن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة..."⁽¹⁾.

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله... لو كان هذا في سبيل الله؟"

فقال رسول الله ﷺ: "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"⁽²⁾.

... في الحديثين توجيه كريم من النبي ﷺ إلى ضرورة السعي والعمل من أجل عفة النفس وعزتها، وحفظها من مذلة المسألة والاستجداء، فالساعي على نفسه يعفها ويصونها مجاهد في سبيل الله، مأجور على سعيه وعمله، لأن الإسلام لا يريد لأبنائه إلا أن يكونوا أعزة أقوياء، لا يعيشون عالة على غيرهم، وكلاً على مجتمعاتهم، بل لابد أن يكون لكل منهم دور بناء في تنمية ورفاهية مجتمعه، بل وأمه بأسرها.

(1) رواه أحمد بإسناد صحيح: 293/13 رقم 17113.

(2) المنذرى في الترغيب والترهيب 524/2 - 9، وقال: رجاله رجال الصحيح.

يقول النبي الكريم: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"⁽¹⁾.

ومن أدعيته ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وضلع الدين وقهر الرجال"⁽²⁾.

والإسلام يدعو إلى العمل ويحث عليه، ويأمر المؤمن أن يمشى في مناكب الأرض (جوانبها) ويأكل من رزق الله وفضله، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽³⁾ حتى أن الله - تعالى - يأمرنا بالسعي في يوم عيدنا الأسبوعي يوم الجمعة وبعد الصلاة، تأكيداً على أهمية العمل وفضله. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾.

وذلك لما في العمل من فوائده العظيمة التي تعود على الفرد والجماعة على حد سواء، فمن فوائده: فيه عمارة الكون والتي خلق من أجلها الإنسان. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁵⁾، ومهمة هذا الخليفة إعمار الأرض بمنهج الله، وهذا الإعمار يحتاج إلى العمل والجد والاجتهاد.

(1) رواه مسلم - كتاب القدر: 2052/4 رقم 2664.

(2) البخاري - كتاب الدعوات: 319/8.

(3) المالك: 15.

(4) الجمعة: 10.

(5) البقرة: 30.

وفى العمل تعبد لله وتقرب إليه، حيث إنه استجابة لأمره بالسعى والعمل، وكل أمور الدنيا المباحة تتحول إلى عبادة ما سبقها صدق في النية وإخلاص في العمل لله وحده.

يقول النبي الكريم: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"⁽¹⁾، ويقول أيضاً: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"⁽²⁾.

وفى العمل عفة المسلم عن الحرام، لأنه استغنى عنه بالحلال الذي جاء بكده وسعيه، وفى العمل أيضاً عزة المسلم، فلا يتعرض للمسألة وذليلاً. وعندما جاء رجل من الأنصار يسأل النبي - يطلب منه عطاء - فقال له النبي: "أما فى بيتك شيء؟ فقال: جلس (رداء) نلبس بعضه ونبسط بعه، وقعب (إناء) نشرب فيه الماء، فأمره النبي أن يحضرهما وباعهما بدرهمين، وأمره أن يشتري بأحدهما طعاماً لأهله، وبالأخر قدوماً، وقال له النبي: اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ففعل الرجل وأصاب ربحاً وفيراً فقال له النبي: هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة (علامة) فى وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مظطع أو لذى دم موجع"⁽³⁾.

وفى العمل - أيضاً - قدوة للصغار حتى يقضوا أوقات فراغهم فيما ينفعهم، ولا يعتمدوا كل الاعتماد على آبائهم لا سيما بعد بلوغهم وشدتهم، فعلى الكبير أن يعمل ولو كان صاحب مال، فنبي الله داود عليه السلام - مع ملكه العظيم - كان يأكل من عمل يده، كما بلغ النبي الكريم فى

(1) الترمذى - كتاب البيوع: 506/3 رقم 209.

(2) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 116/2 رقم 1001.

(3) رواه ابن ماجه كتاب التجارات: 740/2 رقم 2198.

قوله: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"⁽¹⁾. وخصه النبي بالذكر - من بين الأنبياء وهم جميعاً يأكلون من عمل أيديهم - حتى لا يظن البعض أنه اعتمد على ماله وملكه وتكاسل عن العمل.

وقد أساء بعض الناس فهم التوكل على الله، فتكاسلوا عن أداء الأعمال متعللين ببعض النصوص التي أساءوا فهمها كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽²⁾. وكقوله عليه السلام: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً"⁽³⁾. فالتوكل هو الاعتماد على الله والأخذ بالأسباب، فكلما يؤمر المسلم بالتوكل فهو مأمور كذلك بالأخذ بالأسباب، وصدق النبي الكريم إذ يقول اعقلها وتوكل"⁽⁴⁾.

وما ينبغي أن يذكر هنا أن العمل الذي يدعو إليه الإسلام والذي يثاب عليه المؤمن هو العمل الحلال فقط، الموافق لشريعة الله، وليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رسوله ﷺ. فكل عمل فيه معصية، أو أعان على معصية فهو محرم يوقع صاحبه في غضب الله وعقابه.

أما العمل الذي يرضى الله في الدنيا ويثيب عليه في الآخرة هو العمل الحلال، يقول النبي الكريم: "من أكل طيباً وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة"⁽⁵⁾.

(1) رواه البخارى - كتاب البيوع: 355/4 رقم 2070 فتح.

(2) هود 6.

(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 252/1 رقم 250.

(4) الترمذى - كتاب القيامة 668/40، رقم 257.

(5) رواه الترمذى - كتاب صفة القيامة رقم 2520، وعمل في سنة: أى مطيعاً سنة

النبي ﷺ.

النفقة على الأهل:

عن ابن مسعود البدرى، عن النبي ﷺ قال: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة"⁽¹⁾.

عن سراقه بن مالك أن النبي ﷺ قال: "ألا أدلك على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك"⁽²⁾.

... أسند الإسلام للرجل قيادة الأسرة في مسيرة حياتها، وألزمه تدبير شؤونها، وقضاء حوائجها، باذلاً في سبيل ذلك كل ما يمكنه من جهد، وجعل نفقته على زوجته وأولاده صدقة يتقرب بها إلى الله تعالى، لأنه يقصد بها المحافظة على عفة الأسرة، وعصمتها من الفتن، وإبعادها عن مهادى الرذيلة فتقرب بذلك من طاعة الله تعالى، فينشأ مجتمع مؤمن راشد مترابط، يقوم على احترام الحقوق وأداء الواجبات، فتتحقق له السعادة الدائمة التي يرمى إليها الشارع الحكيم.

فنفقة الرجل على أهل بيته من حقوقهم عليه، ومن واجباته نحوهم، فهو مسئول عنهم أمام الله وأمام الناس، وهم أمانة عنده أمره الله بالمحافظة عليها، وسأله عنها هل حفظهما أم ضيعها، يقول الرسول الكريم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"⁽³⁾، ويقول أيضاً: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول"⁽⁴⁾.

وإذا كان الرجل فقيراً عاجزاً عن النفقة، هل يعفيه ذلك من النفقة على أهله؟

-
- (1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 176/1 رقم 586.
 - (2) رواه ابن ماجه - كتاب الأدب: 1209/2 رقم 3667.
 - (3) البخارى - كتاب العتق: 215/5 رقم 2558 فتح.
 - (4) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 136/2 رقم 1692.

يقول الأستاذ محمد أحمد فرج السنهورى: "وإذا كان رب الأسرة لا مال له، ولم يكن قادراً على الكسب، ولم يصل إليه لسبب أو آخر ما كان يجب له ولهم من النفقة فى بيت مال المسلمين، وعلى المياسير من الناس، فإن هذا لا يدرأ عنه المسؤولية نحو أسرته، ويبقى عليه شئ آخر، فمن كانت هذه حاله، كان فرضاً عليه أن يخرج من بيته ليعلم الناس بحاله وأن يطوف على الأبواب ليسأل القادرين ما يدفع عنه الغائلة هو وأهله، فإن قصر فى ذلك كان آثماً، ومسألته فى هذه الحالة لا حرج فيها ولا مذلة، فهو إنما يسعى إلى الناس ليصل إلى حق مستحق له عليهم، فإن إطعام المحتاجين والقيام بضروراتهم فرض على القادرين وليس فى طلب صاحب الحق حقه شئ من المهانة والذل، ولو كان فيه شائبة من ذلك ما صنعه ﷺ فقد روى الطبرانى وابن حبان فى الصحيح من حديث طويل أن أبا بكر خرج فى الهجرة إلى المسجد فوجد عمر فقال له: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال له: ما أخرجنى إلا ما أجد من شدة الجوع. فقال عمر: والله ما أخرجنى غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما الرسول فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ قالا: ما أخرجنا إلا ما نجد من الجوع. قال: والذى نفسى بيده ما أخرجنى غيره فقاما. فانطلقوا إلى باب أبى أيوب فاستقبلتهم امرأته، ثم جاء هو يشد، وأمر فأعد لهم الطعام، خبز وجدى طبخ نصفه وشوى الآخر، وتمر ورطب وبسر، ولما قدم لهم الطعام أخذ النبى من الجدى فجعله فى رغيف، وقال: يا أبا أيوب أبلغ بهذه فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام"⁽¹⁾.

(1) الأسرة فى التشريع الإسلامى: 85، 86.

حسن معاشرة الزوجة:

يقول رسول الله ﷺ: "... وإنك لن تتفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في امرأتك"⁽¹⁾.

ويقول عليه السلام: "وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك، إذا وضعها في الحلال كانت له أجراً"⁽²⁾.

... ننقل إلى جانب آخر من مسئولية الرجل تجاه أهله، وهو الجانب الأدبي المتعلق بحسن عشرة الزوجة كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁽³⁾. وفي قوله عليه السلام: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"⁽⁴⁾.

فحسن معاشرة الزوجة طريق إلى تأليف قلبها، وبث روح المودة والمحبة في ربوع البيت، مما يؤدي إلى حياة سعيدة يحيط بها سياج من التفاهم والاحترام المتبادل.

ومن صور المعاشرة الطيبة للزوجة:

- 1- الحرص على إكرامها وإرضائها بما يستطيع.
- 2- الاستماع إليها والأخذ بمشورتها، فإنها قد ترى ما لا يراه، وقد يجد عندها ما يغيب عنه.
- 3- احترام أهلها والثناء عليهم والسماح لها بزيارتهم لأن في ذلك إسعادها.
- 4- الاهتمام بها وبحوائجها اهتمامه بنفسه، وعدم إهانتها فعلاً أو قولاً، فقد

(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 131/2 رقم 1053.

(2) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 698/2 رقم 1005.

(3) النساء: 19.

(4) رواه ابن ماجه - كتاب النكاح: 636/1 رقم 1977.

- سأل رجل رسول الله ﷺ: "ما حق المرأة على الزوج؟ قال: "أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت"⁽¹⁾.
- 5- العفو عن زلاتها وعدم ترصد سقطاتها، بل يحاول إصلاحها، فكل إنسان لا يخلو من العيوب، يقول النبي ﷺ: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، أن كره منها خلقاً رضى منها آخر"⁽²⁾.
- 6- مناداتها بأحب الأسماء إليها، وتلقيبها بما تحب من الألقاب، ليدخل السرور عليها.
- 7- مداعبتها والمزاح معها، فلا يكون في بيته جاداً في كل الأمور، يعامل أهله كما يعامل الغرباء.
- يقول عمر بن الخطاب ؓ: "ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً".
- 8- الاعتدال في الغيرة، لأن الإسراف فيها، والمبالغة في تعقب تصرفات الزوجة وسوء الظن بها قد يؤدي إلى فساد العلاقة بينهما، يقول النبي الكريم: "إن من الغيرة ما يحبه الله، وإن منها ما يبغضه الله"⁽³⁾.
- 9- المحافظة على أسرارها الخاصة لما في إفشائها من أذى لها. يقول النبي ﷺ: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها"⁽⁴⁾.
- 10- تعليمها أمور دينها حتى تكون بصيرة بحق خالقها، وحق زوجها،

(1) رواه ابن ماجه - كتاب النكاح: 593/1 رقم 1850.

(2) رواه مسلم - كتاب الرضاع: 1091/2 رقم 1469.

(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 103/17 رقم 23637.

(4) رواه مسلم - كتاب النكاح: 1060/2 رقم 1437.

. ومن حولها جميعاً.

11- إعطاؤها حقها في الجماع، وهذا الحق قد ذهب جمهور العلماء إلى وجوبه على الرجل إذا لم يكن له عذر⁽¹⁾. وترشدنا سنة النبي ﷺ إلى ضرورة إعطاء المرأة هذا الحق، بل ويجعله عبادة يثاب الإنسان عليها، وصدقة يتقرب بها إلى ربه، وبسببه يكون الولد، وبه ترتجى العفة، والوفاء به يزيد المحبة والمودة بين الزوجين.

ولما دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن: مالك؟! ما في قريش رجل أغنى من بعلك! فقالت: ما لنا فيه شيء؛ أما نهارة فصائم وأما ليله فقائم. فلما علم بذلك النبي قال: يا عثمان... أما لك في أسوة؟ قال: وما ذاك يا رسول الله؟ فذاك أبي وأمي. قال: أما أنت فتقوم الليل وتصوم النهار، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، صل ونم، وصم وافطر، فأنتهم المرأة بعد ذلك وكأنها عروس فقيل لها: مه؟! قالت: أصابنا ما أصاب الناس⁽²⁾.

وهذه الأمور التي وصى بها الإسلام في معاشره النساء، إنما هي لقاء ما تقوم به من واجبات من محافظة على شعائر دينها، وطاعة زوجها في غير معصية الله، وصيانة عرضه وماله وولده، وتدبير شئون بيته، إلى غير ذلك من حقوق عليها.

تأديب الولد:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع"⁽³⁾.

(1) فقه السنة: 188/2.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه 267/1، ح 316.

(3) رواه الترمذی - کتاب البر والصلة: 337/4 رقم 1951.

... وهذا جانب ثالث من جوانب مسئولية الرجل تجاه أهل بيته، وهو تأديب الأولاد وتربيتهم تربية إسلامية فاضلة، والأم شريكة فى تلك المسئولية التى تعد أهم وأخطر مسئوليات الأسرة. حيث إن التربية الفاضلة تعين على إيجاد نشئ مسلم يشب على طاعة الله، يقدر الأخلاق والمبادئ السامية، وينفر من قبيح القول وسيئ العمل، الأمر الذى يؤدى إلى مجتمع مثالى تسود فيه الأخلاق والقيم الصحيحة.

فتأديب الأولاد وتربيتهم على أحكام الشريعة الغراء مسئولية الآباء، وقد أمر الله بها فى كتابه الكريم حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽¹⁾. والنصح يكون بالتأديب والنصح وتعليم الخير حتى يتخلقوا بأخلاق النبي ﷺ ويقول النبي الكريم: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"⁽²⁾.

والأولاد أمانة فى أيدى آبائهم انتتمهم الله عليها، يسألون عنها يوم القيامة؛ هل حفظوها بالتأديب والتربية الصحيحة؟ أم ضيعوها بالإهمال والتربية الفاسدة البعيدة عن مبادئ الدين الحنيف.

هؤلاء الأولاد الذين خلقهم الله على الفطرة، أى يولدون ولديهم ميل ورغبة فى الإسلام، ثم يأتى دور الوالدين فى ترسيخ عقيدة التوحيد، تثبيت قواعد الإيمان، لئلا يكون الطفل عرضة للعقائد الفاسدة والسلوكيات المنحرفة.

وحتى تتضح معالم التربية الإسلامية، نسوق بعض النصوص التى تحمل المنهج الصحيح فى تربية وتأديب الأولاد فى كل ما يتعلق بحياتهم عقيدة وعبادة وأخلاقاً وآداباً، وهذه النصوص هى:

(1) التحريم: 6.

(2) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب: 1210/2 رقم 3671.

1- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَبْنِهِ وَهُوَ بِعِظِهِ يَنْشِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۖ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْخَيْرِ ۖ وَإِنْ جَهَدَكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدِّينِ مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ يَنْبِيُّ إِلَهُهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِآتٍ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۖ يَنْبِيُّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۖ وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝﴾ (1).

2- قول النبي الكريم لابن عباس: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ، لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك" (2).

3- قول النبي الكريم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع" (3).

4- قال الرشيد لمعلم ولده المأمون: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن (4)، وبصره بمواقع الكلام وبدنه، وامنعه من

(1) لقمان: 13 - 19.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 194/3 - رقم 2669.

(3) رواه أبو داود - كتاب الصلاة: 130/1 - رقم 495.

(4) السنن: الآداب العامة.

الضحك إلا فى أوقاته، ولا تمرن بك الساعة إلا وأنت مغتتم لفائدة
تغيرها إياه، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع فى مسامحته
فيسطحى الفراغ ويألفه، وفوق ما استطعت بالقرب والملاينة.

5- وصية أم عربية لابنتها: احفظى على عشر خصال تكن لك
ذخراً: الأولى والثانية: المعاشرة له بالرضا والقناعة، وحسن السمع له
والطاعة.

والثالثة والرابعة: التفقد لموضع أنفه وموقع عينه، فلا تقع عينه منك
على قبيح ولا يشم منك إلا أطييب ريح.

الخامسة والسادسة: الهدوء عند منامه والتفقد لوقت طعامه، فإن مواراة
الجوع ملهبة، وتغريض النوم مغضبة.

والسابعة والثامنة: الاحتفاظ بماله والإرعاء على حشمه وعياله.

والتاسعة والعاشرة: إياك أن تعصى له أمراً أو تفشى له سراً، فلنك إن
عصيت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره.

وواضح فى هذه النصوص المذكورة أنها تشتمل على المنهج
الصحيح فى تأديب الأولاد وتربيتهم، ذلك المنهج الذى يضمن لهم حياة
سعيدة فى جميع أطوار حياتهم، غنى وفقراً، صحة ومرضاً، قوة وضعفاً،
يسراً وعسراً، فما أغنى الفقير بأولاده الذين أدبهم بأدب الإسلام فكانوا له
عوناً وذخراً.

وما أفقر الغنى بأولاده الذين لم ينعموا بأدب الإسلام، فنسوا فضل
آبائهم وعقوهم بل وربما تمنوا موتهم للتمتع بأموالهم.

صدقة الطريق:

يقول رسول الله ﷺ: "وتميط الأذى عن الطريق صدقة"⁽¹⁾. إِمَاطَةُ الأذى عن الطريق، وإزالة كل ما يؤذى الناس قولاً أو عملاً أثناء سيرهم من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وهى خصلة من خصال الإيمان، كما بينت السنة النبوية الكريمة فى قوله عليه السلام: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأنها إِمَاطَةُ الأذى عن الطريق"⁽²⁾. وجعل النبى ﷺ من يقوم بإِمَاطَةِ الأذى كالمصدق، لأن إِمَاطَةَ الأذى ستؤدى إلى سلامة من يمر من الأذى فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة⁽³⁾.

وقد وضع الإسلام للطريق حقوقاً وآداباً ألزم المسلمين بها حتى لا يتعرض المارة لأى لون من ألوان الأذى، مادياً كتعطيل الطريق بالأحجار والأشواك والدواب وتلويثه بالقاذورات والنجاسات وكذلك بدخان السجائر الضار بصحة الإنسان، أو معنوياً كالسب والقذف والغيبة وإطلاق الألفاظ الخارجة، وكذلك فتنة الناس بالملابس والصور الخليعة المنافية للآداب. وقد أشار النبى فى بيانه لحق الطريق إلى بعض ما يتعرض له الناس فى طريقهم من أذى على أيدي الجاهلين بتعاليم الدين الحنيف أو المتهاونين بها.

يقول رسول الله ﷺ: "إياكم والجلوس على الطرقات قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها؟ فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 177/1 — رقم 590.

(2) رواه مسلم، كتاب الإيمان: 63/1 — رقم 34.

(3) فتح البارى — ابن حجر العسقلانى: 136/5.

الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽¹⁾.
وعن أبي طلحة قال: "كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فيها فجاء رسول
الله ﷺ، فقام علينا فقال: ما لكم ولمجالس الصُّعَدَات؟ اجتنبوا مجالس
الصُّعَدَات. فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، وقعدنا نتذاكر ونتحدث. قال: إما
لا، فادوا حقها: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام⁽²⁾.
وواضح أن النبي الكريم ﷺ ينهى عن الجلوس في الطرقات لما
قد يترتب عليه من أذى للمارة وإن كان فيه منفعة لمن يؤدي حق الطريق،
فدفع المفسدة مقدم على جلب المنفعة، وإذا كان لا محالة من الجلوس، فعلى
الجالس أن يلتزم بتلك الآداب المذكورة في الحديثين السابقين حتى لا يقع
في معصية الله، لأن مخالفة هذه الآداب تؤدي إلى وقوع الأذى للمارة في
الطريق. فمن الأذى أن يتتبع الناس بالنظر بالخبث، للنساء اشتهاه،
وللرجل احتقاراً وازدراءً.
ومنه عدم كف الأذى عن الناس بالقول كالسب، والشتم والقذف
والغيبة والنميمة، وبالفعل كرمى العظم والحجر والشوك، وغيرها مما
يؤدي ويعرقل حركة الطريق
ومنه كذلك عدم إرشاد الناس إلى الخير والمعروف وتركهم
يتخبطون في الشرور والمنكرات، فذلك من الأذى الواقع على المارين
 بالطرقات.
وقد وجدت في حديث الإمام الغزالي عن منكرات الشوارع قدراً

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 36/2 - رقم 1374.

(2) رواه مسلم - كتاب السلام: 1704/4 - رقم 2120، والصُّعَدَات هي الطرقات، وأحدها
صعيداً كطريق، فهما متحدان معنى ووزناً. وإمالة: أي أن لم تتركوا مجالس
الطرقات.

كبيراً من السلوكيات التي نراها في حياتنا وتؤذى طرقاتنا والمارين فيها، فرأيت أن أنقلها بياناً لما ينبغي علينا إزاء الطرقات. يقول الغزالي: فمن المنكرات المعتادة: وضع الأسطوانات، وبناء الدكات⁽¹⁾ متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار وإخراج الرواشن⁽²⁾ والأجنحة، ووضع الخشب وأعمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر أن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه.

نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت، فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة، ولا يمكن المنع فيه.

وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق⁽³⁾ وينجس المجتازين، منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة الغزول والركوب، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة، وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة، والمرعى هو الحاجة التي ترد الشوارع لأجلها في المارة دون سائر الحاجات.

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإلا فلا يمنع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك. نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الأحمال

(1) جمع دكة وهي بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه، وغالباً من الخشب.

(2) جمع روشن وهو الشرفة أو الكوة أو الطرف.

(3) ويشبه ذلك السيارات بأنواعها التي تؤذى الطريق بتضييقه أو بعمادها الضار بصحة الإنسان.

مالا تطيقه منكر - يجب منع الملاك منه.

وكذلك ذبح القصاب إن كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم، فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحاً، فإن فى ذلك تضيقاً بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للقاذورات.

وكذلك طرح القمامة على جواد الطريق⁽¹⁾، وتبديد قشور البطيخ، أو رش الماء بحيث يخشى التزلق والتعثر، كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال الماء من الميازيب⁽²⁾ المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة، فإن ذلك ينجس الثياب، أو يضيق الطريق، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة، إذ العدول عنه ممكن، فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص إلا التلج الذى يختص بطرحه على الطريق الواحد، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزان معين، فعلى صاحبه - على الخصوص - كسح الطريق إن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاد فيها إلا الوعظ فقط.

وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذى إلا تتجيس الطريق، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسطة ذراعية فيمنع منه، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع⁽³⁾.

(1) جمع جادة وهى وسط الطريق، أو الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق.

(2) جمع مزاب، وهو أنبوية أو قناة يصرف بها الماء من سطح البناء.

(3) إحياء علوم الدين: 2/528، 259.

الدال على الصدقة:

يقول رسول الله ﷺ: "الدال على الخير كفاعله"⁽¹⁾، وهذه فرصة عظيمة للفقير للحصول على ثواب الصدقة، عندما يرشد إليها ويحث عليها، فيكون سبباً في إخراجها، فيكون هو والمتصدق سواء في الأجر والثواب، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدع بي فاحملني. فقال: "ما عندي" فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"⁽²⁾.

... وعندما يأخذ الدال على الصدقة مثل ثواب المتصدق فإنه لا ينقص من أجر المتصدق شيء وإنما يأخذ مثل أجره جزاء دلالته وإرشاده. عن جرير بن عبد الله قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة". إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرْقِبًا﴾⁽³⁾ والآية الأخرى التي في آخر الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾⁽⁴⁾. تصدق رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبه، فقال رسول الله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله

(1) رواه الترمذي - كتاب العلم: 40/5 - رقم 2670.

(2) رواه مسلم - كتاب الإمارة: 1506/3 - رقم 1893، وأبدع بي: أي هلكت دابتي.

(3) النساء: 1.

(4) الحشر: 18.

أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه ورزها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء⁽¹⁾؟

تمنى الصدقة:

قال رسول الله ﷺ: "مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهمما في الأجر سواء....."⁽²⁾.

• • • وهذه أيضاً فرصة سهلة وعظيمة للفقير حتى يحصل على أجر الصدقة دون أى مشقة، فمجرد رغبته الصادقة في إخراج الصدقة تعطيه أجرها، لأن الله تعالى يثيبه على نيته الصادقة في فعل الخير، ورغبته الخالصة في تقديم العون للآخرين.

وهذا التمنى نوع من التنافس المحمود في إيصال الخير للمسلمين، وهو ما يسمى بالغبطة أو الحسد المحمود، وهو تمنى المرء مثل ما لغيره من النعم دون أن يريد زوالها بخلاف الحسد المحرم وهو تمنى زوال النعمة عن أخيك المسلم.

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك الحسد المحمود أو الغبطة في قوله: "لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها"⁽³⁾.

(1) رواه مسلم: كتاب الزكاة: 704/2 - رقم 1017، مجتأبى النمار: لا بسين كساء من صوف مخطط. وتمعر: تغير.

(2) رواه ابن ماجه - كتاب الزهد: 1413/2 - رقم 4228.

(3) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان: 133/1 - رقم 467.

فالحسد المراد فى الحديث هو الحسد المحمود الذى يخلق نوعاً من التنافس البرئ بين المسلمين فى تقديم العون لإخوانهم مادياً كالمساعدات المالية أو الطبية وغيرها، أو معنوياً كالتعليم والوعظ والنصيحة وغيرها.

كل معروف صدقة:

يقول النبى ﷺ: " كل معروف صدقة" (1).

... إذا كنا ذكرنا مجموعة من الخصال الإيمانية والأخلاق الإسلامية الفاضلة والتى بين النبى الكريم أن العمل بها يعد من الصدقات التى يتقرب بها الفقير إلى ربه وتعوضه عن صدقة المال، فإننا فى هذه الباب - نجد النبى ﷺ يوسع دائرة صدقة الفقير لتشمل كل معروف فعلاً كان أو قولاً؛ تطيباً ل خاطر الفقير، وتبشيراً له بثواب الصدقة عند كل عمل يبتغى به وجه الله تعالى.

والمعروف: هو ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر والخير، كبر الوالدين وصلة الرحم، والإحسان إلى الجار، والإحسان إلى اليتيم وإكرام الضيف وزيارة المريض وغيرها من صنائع المعروف.

وقد جعل النبى ﷺ مؤدى المعروف كمؤدى الصدقة فى الأجر والثواب لما يعود على أدائهما من خير على الأمة بأسرها.

(1) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 2، 697 - رقم 1005.

جهد المقل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "يا رسول الله أى الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل وابدأ بمن تعول"⁽²⁾.

.... بعد أن وقفنا أمام مجموعة - غير قليلة - من صنائع المعروف التى تعوض الفقير عن الصدقات المفروضة على أعضاء جسده كل يوم، فإننا نختتم حديثنا بتلك الوصية الغالية التى يوجهها النبى - عليه السلام - للفقير بأن لا يحرم نفسه فضائل صدقة المال، وثواب المتصدقين بها وذلك بأن يتصدق بما يستطيع ولو كان قليلاً، فإن قليله الذى هو فى حاجة إليه، خير من الكثير الذى ينفقه الغنى وليس محتاجاً إليه، لأن الذى يحمله على ذلك إيمانه بالله وتوكله عليه، وثقته فى رزقه وعونه، بخلاف الغنى الذى ينفق عن كثرة وسعة.

وقد مر بنا فى أخلاق الفقير حديث النبى ﷺ عن صاحب الدرهم الذى أخرجه من درهمين لا يملك غيرهما، فكان أفضل من صاحب المائة ألف درهم التى أخرجها من ماله الكثير⁽³⁾.

وذكر مالك رحمه الله أن مسكيناً استطاع عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب! كم ترى فى هذه الحبة من متقال ذرة⁽⁴⁾.

فالصدقة مهما كانت قليلة فإنها عظيمة القدر عند الله، لأنها تخرج من قلب عامر بالإيمان واثق فى رزق الله، وفضله، راج لرحمة الله وثوابه، والصدقة التى نراها قليلة محتقرة، كتمرة أو لقمة أو شربة ماء أو مذقة لبن، فإنها ليست كذلك عند الله، إذ هى تربي وتكبر حتى تكون كالجبل العظيم ما كانت من كسب طيب حلال، يقول النبى ﷺ:

(2) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 132/2 - رقم 1677.

(3) رواه النسائى - كتاب الزكاة: 59/3.

(4) رواه مالك فى الموطأ - كتاب الصدقة: 761/2 - رقم 6.

"لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه
فيربها كما يربى أحدكم فله أو قلوصله حتى تكون مثل الجبل أو
أعظم"⁽¹⁾.

وسنذكر الآن بعض فضائل الصدقة حتى لا يتكاسل عنها أحد
فقيراً كان أو غنياً:
أولاً: فضائلها في الدنيا:

تطهر نفس المتصدق الغنى من البخل والشح كما تطهر نفس
الفقير من الحقد والحسد على الأغنياء، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽²⁾.
تطرح البركة فيما تبقى من المال وتركه وتزيده وتنميها. يقول
النبي ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال"⁽³⁾.

تزيد الرزق وتكون سبباً في نصر الله للمتصدق. يقول
النبي ﷺ: "يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال
الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له،
وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتتصروا وتجبروا"⁽⁴⁾.

تكون سبباً في عون الله للمتصدق، يقول النبي ﷺ: "بينما رجل
في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في صحابة: اسق حديقة فلان، فتحت ذلك
السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة في من تلك الشراج قد استوعبت

(1) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 702/2 - رقم 1014 والفلو الصغير من أولاد الفرس،
والقلوص: الناقة.

(2) التوبة: 103.

(3) رواه مسلم: كتاب البر والصلة: 2001/4 - رقم 2588.

(4) رواه ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة: 343/1 - رقم 81.

ذلك الماء كله، ففتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء، بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لما سالتني عن اسمي؟ قال: سمعت في السحاب الذي هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لا سمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإنني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وآكل أنا وعتالي ثلثه وأرد فيها ثلثه⁽¹⁾.

تبارك في عمر المتصدق وتزيد من عافيته، يقول النبي ﷺ: "إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر"⁽²⁾.

تدفع البلاء وتجنب المصائب، يقول النبي ﷺ: "باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها"⁽³⁾.

ترد كيد الشيطان وتحسره وتحزنه لأنه - لعنه الله - يبذل جهده في عدم إخراجها وصرف المتصدق عنها، يقول النبي ﷺ: "لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطاناً"⁽⁴⁾.

تقى المسلم مصارع السوء، يقول النبي ﷺ: "إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء"⁽⁵⁾.

ثانياً: فضائلها في الآخرة:

تغفر الذنوب والخطايا، يقول النبي ﷺ: "الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار"⁽⁶⁾.

(1) رواه مسلم - كتاب الزهد: 228/4 - رقم 2984.

(2) مجمع الزوائد 151/8.

(3) الترغيب والترهيب 20/2 - 39 - وفي كنز العمال ص 6 - رقم 1887.

(4) رواه أحمد بإسناد صحيح: 482/16 - رقم 22858.

(5) رواه الترمذي - كتاب الزكاة: 43/3 - رقم 664.

(6) رواه ابن ماجه - كتاب الزهد: 148/2 - رقم 4210.

تذهب عن صاحبها لهيب القبور، يقول النبي: "إن الصدقة لتطفئ
عن أهلها حر القبور"⁽¹⁾.

يستظل بها المتصدق يوم القيامة، يقول ﷺ: "كل امرئ في ظل
صدقته حتى يفصل بين الناس"⁽²⁾.

تبعد صاحبها عن غضب الله تعالى. يقول ﷺ: "إن الصدقة
لتطفئ غضب الرب"⁽³⁾.

- وتتجى صاحبها من النار وعذابها، يقول ﷺ: "اتقوا النار ولو
بشق تمره"⁽⁴⁾.

ولما كان للصدقة كل هذه الفضائل في الدنيا والآخرة،
فإن النبي ﷺ يرغب في أدائها وإخراجها حتى ولو وقعت في غير
موقعها. يقول عليه السلام: "قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج
بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة
على زانية: قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة،
فخرج بصدقة فوضعها في يد غنى، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على
غنى. قال: اللهم لك الحمد على غنى. لأتصدقن بصدقة، فخرج
بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق،
فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق، فأرى فقيل

(1) مجمع الزوائد 110/3، والحديث في كنز العمال ج6 - رقم 15996.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 343/13 - رقم 17266.

(3) رواه الترمذي - كتاب الزكاة 43/3 - رقم 664.

(4) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان: 178/1 - رقم 595.

له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها،
ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعف بها عن
سرقة⁽⁵⁾".



(5) رواه مسلم — كتاب الزكاة: 709/2 — رقم 1022.

المحتوى

- تقديم 5
- الفقير: أحواله وأخلاقه 8
- على كل مسلم صدقة 21
- صدقات الذكر 28
- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار 31
- قراءة القرآن 33
- الصلاة على النبي 34
- صدقات الصلاة 37
- المشى إلى الصلاة 40
- انتظار الصلاة صلاة 41
- ختام الصلاة 42
- الصدقة على المنفرد 44
- التكبير إلى الجمعة 44
- صلاة الضحى 45
- الصلاة على الجنازة وتشيعها 47

48	● نظافة المسجد
53	■ صدقة الصيام
58	■ حج وعمره الفقير
60	■ صدقة الكلمة الطيبة
62	● الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
65	● الإصلاح بين الناس
68	● إفشاء السلام
73	■ صدقات حسن الخلق
77	● طلاقة الوجه عند اللقاء
79	● كف الشر
81	● العفو عن الناس
84	■ صدقات عون المؤمن
89	● إرشاد الطريق
90	● البيان عن الأرتم
91	● الشفاعة
94	● القرض
97	● المنيحة
99	● سقى الماء
101	● تعليم المسلم

- صدقات الأسرة 105
- النفقة على النفس 109
- النفقة على الأهل 112
- حسن معاشره الزوجه 114
- تأديب الولد 116
- صدقة الطريق 120
- الدال على الصدقة 124
- تمنى الصدقة 125
- كل معروف صدقة 126
- جهد المقل 127



المنيا - شاهين - 6 ش أحمد مرابي
المنيا - عدنان المالكي - 6 ش 15 - شقة 1
ت 086/354576 - 086/346713

هكذا يتصدق المفقر

المال أبتلاء...

وجوده ابتلاء لصاحبه .. هل يشكر؟
وعدم وجوده ابتلاء لفاقده ..
هل يصبر؟ كما ان وجود المال
ليس دليلا علي محبة الله وكرمه .
وعدم وجوده ليس دليلا علي بغض
الله وسخطه فيقدر التقوي والعمل
يكون الفضل والحب والتكريم
واذا كان الغني يتقرب الي الله بصدقة
المال فإن الفقير يتقرب الي الله بصدقة
المعروف والتي تكون احيانا افضل
وانفع من صدقة المال كما قال تعالى
(قول معروف ومغفره خير من صدقه
يتبعها اذي).

فعلي صفحات الكتاب نعيش مع
مجموعه غير قليله من صدقات
المعروف التي ارشدت اليها السنه
النبيه لتكون مغنما للفقير يعوض به
ما يعجز عنه من صدقات الأموال .

Al Ouabass Tel.: 3640835 - 5243314



دار الهدى للتوزيع